ثقافات الشعوب

@ketab_n
Follow Me
25.10.2014

@ketab_n
Follow Me

# الراعي والأميرة

## حكايات شعبية من صربيا

جمع: شيدوميل مياتوفيتش
ترجمة: ثائر ديب

# الراعي والأميرة

## حكايات شعبية من صربيا

جمع:
شيدوميل مياتوفيتش

ترجمة:
ثائر ديب

كلمة
KALIMA

أبوظبي للثقافة والتراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

# الراعي والأميرة

## حكايات شعبية من صربيا

© هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي
فهرسة دار الكتب الوطنية أثناء النشر

الراعي والأميرة: حكايات شعبية من صربيا.

© حقوق الطبع محفوظة
هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة)
الطبعة الأولى 1431 هـ 2010 م

GR259.M412 2010
Mijatovich, Elodie Lawton, 1825-1908.
[Serbian folk-lore]
الراعي والأميرة: حكايات شعبية من صربيا/ جمع شيدوميل ميانوفيتش؛ ترجمة ثائر ديب.-
ط.1.- أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، كلمة، 2010.
208ص؛ 19x12.5 سم. (سلسلة ثقافات الشعوب).
تدمك: 978-9948-01-513-0
ترجمة كتاب: Serbian folk-lore popular tales
1 - القصص الشعبية الصربية. 2 - الحكايات الصربية. أ- ديب، ثائر.

مراجعة وتحرير: سامر أبو هواش
إخراج وتصميم: أحمد عبد الله التتان

كلمة KALIMA
info@kalima.ae
www.kalima.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 468 6314 2 971+ ،
فاكس: 462 6314 2 971+

أبوظبي للثقافة والتراث ABU DHABI CULTURE & HERITAGE
www.adach.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 300 6215 2 971+ ،
فاكس: 059 6336 2 971+

إن هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة) غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره وإنما تعبّر آراء الكتاب عن مؤلفها.

حقوق الترجمة العربية محفوظة لكلمة
يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أي وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر.

Twitter: @ketab_n

# المحتويات


| الموضوع | رقم الصفحة |
|---|---|
| تقديم | 9 |
| باش تشالك؛ أو، الفولاذ الأصليّ | 37 |
| الراعي والأميرة | 66 |
| رَدُّ الجميل بمثله | 83 |
| من حفر حفرةً وقع فيها | 94 |
| المهنة التي لا يعرفها أحد | 110 |
| الخطّاب الثلاثة | 126 |
| التوأم ذهبيّ الشعر | 134 |
| حلم ابن الملك | 144 |
| الإخوة الثلاثة | 152 |
| الحيوانات صديقةً وعدوّةً | 194 |


Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

## هذه السلسلة

تأتي هذه السلسلة التي تجمع تراث الشعوب من الحكايات والأساطير والخرافات الشعبية، منسجمة مع الأهداف والقيم التي اختطتها لنفسها مبادرة «كلمة» منذ البداية، كمشروع رائد للترجمة في العالم العربي. تلك القيم والأهداف التي تسعى أبوظبي إلى تجسيدها، لتشيع ثقافة التسامح والحوار، وبناء جسور التواصل بين شعوب الأرض وحضاراتها، وتعزيز العمق الثقافي الجامع بين مختلف الأعراق والجنسيات والثقافات، وجمعها تحت سقف واحد، هو سقف الثقافة والمعرفة والكلمة التي تجمع ولا تفرّق.

وليست حكايات الشعوب هذه، التي تقدّم للمرة الأولى لقرّاء العربية،تمثل هذه الشمولية والكثافة والاتساع، إلا ترسيخاً لهذا المشترك الإنساني الجامع. وكأن ما اصطلحت البشرية على تسميته «عولمة» منذ عقدين من الزمان أو نيّف، كان متحقّقاً بالفعل منذ مئات بل آلاف السنين، عبر حكايات نجدها تتنقّل بحرية من أرض إلى أرض، ومن لسان إلى آخر، إذ تطرأ عليها تعديلات هنا أو هناك، لتناسب ثقافة هذا الشعب أو ذائقة تلك الأمة، أو ظروف تلك الجماعة. وفي بعض الأحيان نجد الحكاية نفسها – مع تغيير في أسماء الناس والأمكنة – تروى في أقاصي الشرق، على نحو ما تروى في أقاصي الغرب، أو

Twitter: @ketab_n

شمال الأرض أو جنوبها. فإذا كانت الحكايات تتمتع بميزة أساسية فهي قدرتها على اختراق الحدود الجغرافية والعرقية والنفسية والسياسية والدينية واللغوية، لتولد في كل مرة، وعند كل قوم من الأقوام، بصورة خاصة وفريدة، تشير إلى خصوصية الذات.

وهكذا، تبقى الحكايات سرّ هذه الأرض الواحدة، نبتتها أو لنقل زهرتها الفريدة، التي نبتت من تربتها الخصبة الواحدة، ونمت تحت سمائها الشاسعة الواحدة، لتجوب آفاق الدنيا، مبدّلة ربما أثوابها وألوانها، ولكن محتفظة دوماً بجوهرها الإنساني الفسيح والعميق.

وإننا إذ نقدّم هذه الحكايات، زهرات الأرض الفريدة هذه، في باقة واحدة ثرية الأجناس والألوان، فإيماناً منا بأننا على اختلاف ثقافاتنا وحضاراتنا، أبناء هذه الأرض الواحدة، وبأن ما ترويه جدّة ما لأحفادها في أصقاع القطب الجنوبي، من حكايات تؤكد قيم الخير والحب والعدالة والسلام، ترويه – وإن بلغة أخرى – جدة أخرى في أصقاع أخرى من الأرض، وهذا ما يجعل الحكايات الشعبية ميراثاً أصلياً للبشرية جمعاء، بقدر ما هي ملك أصلي لكلّ شعب من الشعوب وثقافة من الثقافات.

**د. علي بن عيم**

**مدير مشروع «كلمة» للترجمة**

Twitter: @ketab_n

# تقديم

لم يُعتَرَف، إلا في السنوات القليلة الأخيرة وحسب، ذلك الاعتراف الصريح بأهمية الفلكلور، والسِّيَر البطولية والحكايات والمُسْتَطْرَفات وضروب المغالاة الشعبية التي تناقَلَتْهَا أجيالٌ من العمّال والفلاحين والشبيبة في أمّة من الأمم. أمّا الآن فبات يُقَرُّ عموماً أنَّ لهذا النوع من الأدب، الجدير بصفة الشعبي أكثر من أي أدبٍ آخر، قيمةً تتعدّى التسلية العابرة التي يمكن أن تقدّمها الحكايات ذاتها، وأنَّ له مكانةً رفيعةً إلى جانب المواد الأخرى الأشدّ رصانة، فضلاً عن مساهمته المُعْتَبَرَة في تقرير ما يتوصّل إليه المؤرّخ والإثنولوجي من استخلاصات ونتائج. وإنه لمن حُسْنِ الطالعِ أن يُعْتَرَف بما لهذه «الحكايات والخرافات» من نَفْعٍ، وإلا لكانت النزعة النفعيّة عند المربّين المُحْدَثين تطأ بقدميها شذرات «الزمن القديم» هذه، ولا تترك لأطفالنا أيّ بديل سوى «حشوهم بالجغرافيا والتاريخ الطبيعي»[1]. وما هذه المجموعة من الحكايات الشعبية الصربية، التي

(1) تشارلز لام، في رسالة إلى كولردج، تشرين الأول، 1802.

Twitter: @ketab_n

تُرجِمَت إلى الإنجليزية وتُنْشَر هنا، سوى مساهمة أخرى تُضَاف إلى معرفتنا بمثل هذا الأدب، الذي لعلّه أن يكون أَجَلَّ الآداب الدنيوية التي وصلتنا.

ولقد تولّيتُ أَمْرَ تحرير هذه الحكايات، نزولاً عند رغبة السيدة التي اختارتها وقامت بترجمتها. فحافظتُ ما أمكنني، على حرفيّة روايتها، واقتصرتُ على إضافة بضع ملاحظات إلى النصّ وبعض التصويبات العارضة على صعيد الأسلوب، مما اقتضته عادة المترجمة في أن تفكّر وتكتب بلغة أخرى. وكانت الحكايات التي يضمها هذا الكتاب قد اختيرت من مجموعتين من الفلكلور الصربي، إذ اختير القسم الأكبر من مجموعة «الأشعار الشعبية الصربية» الشهيرة التي نشرها فوك ستيفانوفيتش كراجيتش[1] في فيينا، عام 1853، في حين اختير الباقي من «الأشعار الشعبية البوسنية»، التي جمعتها «جمعية البوسنة الفتاة»، وطُبع الجزء الأول منها في سيسّيك، في كرواتيا، عام 1870. وكانت مجموعة فوك ستيفانوفيتش كراجيتش قد

(1) ليس من المبالغة القول إنّ فوك ستيفانوفيتش كراجيتش (1787– 1864) هو الأب الروحي للغة الصربية وصانعها وواضع أسسها الحديثة ومصلح قواعد كتابتها. وكان، علاوةً على ذلك، أفضل جامع وعالم بالشعر الشعبي، وعلى قدر كبير من العلم بالأنثروبولوجيا الوصفية والتاريخ، كما كان ناقداً أدبياً متمرّساً في فن الجدل والمناظرة ومن أكثر الأدباء في صربيا تأليفاً وتأثيراً في زمانه، حيث يُعَدُّ على نحوٍ ما خالق القومية الصربية بمعناها الحديث. (م).

Twitter: @ketab_n

تُرجِمَت إلى الألمانية من قبل ابنته فيلهلمين، وطبعت في برلين، عام 1854 [1]. وكان جايكوب غريم، الذي نبّه كراجيتش إلى أهمية جمع تلك الحكايات الأصلية، قد أسهم في هذه الترجمة التي أُهديت إلى الأميرة جوليا، أرملة الأمير الراحل ميشيل أوبرفيتش الثالث، بتصديرٍ قصيرٍ لكنه لافت.

وكان فوك كراجيتش قد جمع قصص مجموعته من شفاه حكواتيّةٍ [2] محترفين وفلاحات عجائز في صربيا والهرسك. وثمّة واحدة من هذه الحكايات، مترجمة في كتابنا هذا، تحت عنوان «الكشك العجيب» أو «كشك في السماء»، كان الأمير ميشيل، حاكم صربيا الراحل والمأسوف عليه، قد سمعها، في طفولته، من فم مربيته، فدوّنها وأسهم بها في هذه المجموعة. أمّا المجموعة البوسنية فقد وضعها بعض الطلاب البوسنيين الشباب، الذين كانوا يدرسون اللاهوت في دياكوفو، في كرواتيا.

ولقد أفضى الميل إلى هذه الأنواع من الأدب، في السنوات القليلة الأخيرة، إلى نشر مجموعاتٍ كثيرة من الحكايات

(1) «Volksmärchen der Serben، gesammelt und herausgegeben von Vuk Stephanowitsch Karadschitsch» Berlin، 1854.

(2) الأصل في العربية «حكاة» لكننا فضلنا اللفظة الشائعة «حكواتية» (م).

Twitter: @ketab_n

الفلكلورية، والسِّيَر البطولية، والساغات[1] التقليدية، من جميع البلدان الممتدة من أيسلندا إلى أقصى جنوب إفريقيا وبولينيزيا، مما وفّر متناً ضافياً من هذه الحكايات حتى لمن لا يقرأ بغير الإنجليزية. وفي حين وجّه السيد ثورب[2] والسيد ديزنت[3] اهتمامهما إلى أيسلندا والممالك الإسكندنافية، فإنّ السيد كامبل قدّم خدمة رفيعة الشأن بمجموعته الضخمة من قصص المرتفعات الغربية[4]. وقد أبرزت كتب السيد و. هـ. ولسون، والدكتور موير[5]، والكولونيل جيكوب، والسيد كيلي[6]، والآنسة فرير[7] السِّيَر البطولية الهندية، والفلكلور الهندي بوجهٍ عام؛ في حين أبرزت كتاباتُ السيد ترنر، وخاصةً كتب السيد سِبينس هاردي[8]، التقاليدَ السيلانية. أمّا الفلكلور الروسي والسلوفيني الشمالي فقد

---

(1) الساغا، نوع من السرد النثري الأيسلندي والإسكندنافي القروسطي يحكي عن بطل مشهور أو عائلة مشهورة أو عن مآثر الملوك والمحاربين. وقد ظل معظم الساغات شفوياً حتى القرن الثاني عشر عندما بدأ تدوينها(م).

(2) «3 vols» Northern Mythology.

(٣) «Popular Tales from the Norse»

(4) «Popular Tales of the West Highlands» 4 voIs. Edinb. 1860 – 62.

(5) «Original Sanskrit Texts on the Origin and History of the People of India» &c

(6) «Indo-European Traditions»

(7) «Old Deccan Days»

(8) «Manual of Buddhism» and «Legends and Theories of the Buddhists» London. 1866.

Twitter: @ketab_n

أتاحه ونظّمه كتابا السيد رالستون القيّمان عن «أغاني الشعب الروسي» و«الفلكلور الروسي». وكان الدكتور بليك قد جمع بعض الأساطير والحكايات الشعبية لدى القبائل قرب رأس الرجاء الصالح[1]؛ أمّا السيد غريغوري غري فقام بهذه الخدمة الطيبة ذاتها وحفظ لنا عينات من الحكايات الفلكلورية لدى شعب نيوزلندا[2]. وكما فتحت البلدان الأجنبية مخازن أدبها الشعبي أمام هذه الضروب من البحث والاستقصاء، فإنّ صناعةً مماثلةً ظهرت في بلادنا وراحت تجمع تقاليدها وفلكلورها. فالأغاني التي جمعها وولتر سكوت في كتابه «أناشيد القوّالين على الحدود»[3]، بالهوامش الشارحة التي أضافها إليها، هي ذخيرة لكلٍّ من مقاطعات شمال إنجلترا ومقاطعات جنوب اسكتلندا على حدٍّ سواء. أمّا السيد رايت والسيد كوكّاين، في كتابيهما، ذلك الذي يتناول «أدب العصور الوسطى»، للسيد الأول، والذي يتناول «الوصفات الطبية في إنجلترا الباكرة»[4]، للسيد الآخر، فقد جمعا فلكلور أسلافنا؛ في حين كَنَزَتْ صفحات بيكر[5]،

(1) «Reynard، the Fox، in South Africa»
(2) «Polynesian Mythology and Traditions of New Zealand»
(٣) «Border Minstrelsy»
(4) «Leechdoms، wortcunning، and starcraft of early England»
(5) «Folk–Lore of Northamptonshire»

Twitter: @ketab_n

وتشامبرز[1]، وهون[2]، وهندرسن[3]، وهنت[4]، وسواهم، قدراً كبيراً من الفلكلور المحلي والحكايات المحلية التي لا تزال قائمة بيننا، وكنّا قد ورثناها من أسلافنا الآريين، وهي أصداء قصص كانوا قد سمعوها أولاً في موطنهم في آسيا الوسطى.

ولقد مكّنتنا هذه وسواها من المجموعات المماثلة من أن نتتبع الحكاية الفلكلورية في مختلف مراحل نموها، ونقارن بين هذه المراحل، ونلاحظ ما طرأ عليها من تعديلات، تبعاً لديانة الشعب الذي تلقّاها، وجوّ البلدان التي أُدْخِلَت إليها وتجنّست بجنسيتها. ولدينا في صفحات البروفسور ماكس مولر، والسيد بارنغ غولد، والسيد كوكس، محاولات، ناجحة إلى هذا الحدّ أو ذاك، في التعامل مع هذه القصص على نحوٍ علمي، وفي تتبع أصول الحكايات الشعبية والسير البطولية المختلفة التي تُدْرَج تحت اسم الفلكلور وشرح بواعثها.

وما يفضي إليه تفحّصُ هذه المجموعات هو خلاصةٌ مفادها أنَّ عدد الحكايات الفلكلورية الأصلية حقّاً – عداك عن السِّير

(1) «The Book of Days»
(2) «Table Book» and «Year Book»
(3) «Notes on the Folk–Lore of the Northern Counties of England and the Borders»
(4) «Drolls of Old Cornwall 2 vols»

Twitter: @ketab_n

البطولية التاريخية– هو عدد ضئيل؛ وأنَّ الشعوب، على الرغم من استقرارها على مدى عصور طويلة في بلدان منفصلة جغرافياً، قد حازت من الزمن القديم أدباً شعبياً، لابدَّ من أنّه كان ملكية مشتركة للجنس البشري قبل تفرّقه إلى أمم مختلفة؛ لكنَّ التراكمات الطبيعية، وتقدّم الزمن، فضلاً عن الصبغة المحليّة، وشذرات الوقائع التاريخية، وتأثير الاعتقاد الديني الشعبي، وفوق ذلك كلّه، مقتضيات الحكواتية المحترفين وألمعيتهم، قد عدّلت تلك الحكايات والسِّير البطولية البدائية أشدّ التعديل، لكي أُضْفِيَ طابع الأصالة على الحكايات الشعبية الراهنة، مع أنَّ مزيداً من التعمّق في الفلكلور، ومزيداً من التوسّع في استقصائه راح الآن يبدد هذا الطابع شيئاً فشيئاً. ولقد اتضح أنَّ العناصر السِّيَرية والتقليدية البدائية قد تضافرت في هذه الحكايات؛ وأنَّ ما من أصالة سوى في هذا التضافر. فهي تشبه قطعةً من عمل فسيفسائي مصنوعةً من مكعبات حجر ملون، ألوانها قليلة العدد في الحقيقة، لكنها تميل لأن تُرَتَّب في مُنَوَّعٍ من الأشكال تبعاً لهوى الفنان.

ويجد القارئ في تذييل كتاب السيد هندرسون، «ملاحظات عن فلكلور مقاطعات إنجلترا الشمالية»، وتحت عنوانٍ ملائم هو

Twitter: @ketab_n

«جذور قصصية أساسية»، تصنيفاً مفيداً ومُوحياً للعناصر التي تدخل في تركيب الحكايات الشعبية المختلفة مستعاراً من مقدمة كان فون هاهن قد وضعها لما جمعه من حكايات فلكلورية يونانية وألبانية؛ ومع أنَّ هذا التصنيف قد تكشّف عن نقصٍ بعد الزيادة الكبيرة في عدد هذه القصص مؤخّراً، إلا أنه يكفي لشرح الطريقة التي تُجمَع فيها وتُلصَق شذرات مختارة من قصص شعبية أخرى. أما بحوث فقه اللغة فتبيّن بمزيد من الوضوح كلَّ يوم تلك الواحديّة الأصلية التي تتّسم بها لغة البشر؛ كما تُظهِر مجموعات الحكايات السلالية والسِّير البطولية الشعبية أنَّ قدراً كبيراً من الأدب الشعبي حقّاً، خاصةً ذاك الذي تلبّث في أراضٍ لم تغزها الحضارة الحديثة، وفي بقاع منعزلة وسط هذه الحضارة، قد كان ملكية مشتركة، قبل أن يتفرّق البشر أعراقاً، وينقسموا إلى قبائل وأمم؛ الأمر الذي يوفّر دليلاً آخر على وحدة الجنس البشري. ولا يزال بمقدورنا، إلى حدٍّ معين على الأقل، أن نتتبّع أنساب كثير من القصص الشعبية، وأن نرتقي إلى رأس نبعها، أو أن نقطع على الأقل تلك المسافة التي تشير إلى زمن نشوئها، وإلى الأرض التي حُكِيَت فيها أول ما حُكِيَت. وهذا ما يجعلنا على ثقةٍ من أنه لو كانت بعض الحكايات في هذا الكتاب من بنات خيال القوّالين والحكواتية السلافيين لما كانت قد زُوِّقَت بالتماسيح

Twitter: @ketab_n

والقواطير[1] والفيلة وحيوانات هندوستان ونباتاتها، مما يعني أنَّ بذرة مثل هذه الحكايات لابدّ من أن تكون قد وُجِدَت قبل أن يتّخذ السلافي موطناً له في أوروبا. ومثل هذه الملحقات هي برهان كافٍ على أنَّ ضفتيّ الدانوب لا يمكن أن تكونا موطن هذه الحكايات الأصلي، ولا بدّ أنها جُلِبَت إلى هناك بواسطة عِرْقٍ هاجر من موطنٍ أبعد إلى الجنوب والشرق.

وفي حين يمكن على هذا النحو أن نبرهن بصورةٍ مُرْضِيةٍ على أنَّ الموطن الأصلي لهذه الحكايات هو في أراضٍ أخرى غير التي نجدها فيها الآن، فإنَّ من الممكن تتبع نمو الحكاية أو القصة أو السيرة البطولية،أو المُسْتَطْرَف من خلال تفحّص القصص ذاتها. ذلك أنّها غالباً ما تكون ضَرباً من التركيب، أو لصقاً لشذراتٍ على نحو ما نراه في الصخور الكُسَارية[2] والصخور المماثلة ذات الأصل البركاني. فالرغبة في أن يُقَرَّ للمرء بالأصالة –وهذا ضعفٌ بشري شائع– وضرورة تطويل حكايةٍ لكي تستغرق روايتها وقتاً محدداً، والسعي وراء التسلية من خلال تراكيب جديدة، كلُّ ذلك من شأنه أن يدفع إلى نمو هذه القصص نمواً بنيوياً. وهذا ما يتأثّر بضروب الترتيب

(1) جمع قاطور، وهو نوع أميركي من التماسيح مقدّم رأسه أعرض منه في تمساح النيل (م).

(2) الصخر الكساري هو الصخر المؤلّف من كسارات صخور أخرى متلاحمة (م).

Twitter: @ketab_n

غير المتوقَّعَة لحوادث قديمة وشهيرة، كما يتأثر بوسيلة التكرار المحض، تلك الوسيلة اليسيرة الفجّة. فمن الحيل الشائعة لدى الحكواتي أن يعيد تفاصيل أحداث وقعت لواحدٍ من شخصيات حكايته، وينسبها إلى كلّ من الأبطال الثلاثة، أو حتى السبعة الذين انطلقوا بحثاً عن المغامرات، فيجعلهم يواجهون الأقدار ذاتها. ومثل هذه الضروب من التكرار تظهر أحياناً ويُستغنى عنها في أحيان أخرى، تبعاً لمقتضيات الوقت، أو براعة السارد. أما الوسيلة الأخرى من وسائل الإضافة إلى القصة الأصلية فهي الحوادث المُسْتَمَدَّة من قصص أخرى، الأمر الذي يتطلّب ممارسة قَدْرٍ كبيرٍ من الألمعية من طرف الحكواتي، ويجعله جديراً بصفة الأصالة نوعاً ما. غير أنَّ الحقيقة تبقى أنَّ المواد التي تُبنى منها هذه القصص هي أقلُّ عدداً من هذه القصص ذاتها، التي كانت على مدى آلاف من السنين مصدر فرح وتسلية، بل وتثقيف في بعض الأحيان، لكلٍّ من الكبير والصغير، والفلاح والأمير، للهوتنتوت[1] الجلف في جنوب إفريقيا، والفقير بليد الحسّ في روسيا، والذكي سريع البديهة في اليونان.

(1) الهوتنتوت فرد من أفراد شعب في جنوب أفريقيا قصير القامة ذو بشرة صفراء بنّية قاتمة (م).

Twitter: @ketab_n

إنّها لمهمة يسيرة نسبياً أن نردّ الحكايات الشعبية المألوفة لدينا إلى البلدان التي حُكيَت فيها في الأصل؛ أو أن نحدّد بصورة تقريبية، على الأقل، مسقط رأسها. والأيسر من ذلك هو أن نفككها، وأن نفصل البذرة الأصلية عن التراكمات التي اجتمعت حولها في سياق نموها. غير أنّه ليس يسيراً أن نحدد الباعث وراء القصة الأصلية. وتبعاً لمدرسةٍ من الكتّاب، فإنّ هذه الحكايات الفلكلورية الشعبية تجسّد عقائد أسطورية عميقة، وقد بُنيَت عن قَصْد لتنقل، عن طريق التعليم الرمزي أو التمثيلي المسرحيّ، حِكَمَ الديانات والفلسفات القديمة. ولعلّ هذا أن يكون صحيحاً إلى حدٍّ ما، لكن صحّته أو عدم صحّته ليس لها سوى أهمية عملية ضئيلة، بصرف النظر عن الواقعة ذاتها، وما يمكن أن تثيره مثل هذه الوقائع من تأوّلات. فما من مهارة نمتلكها يمكن أن تحسم بأيّ قَدْرٍ من اليقين أمر الأصل الأسطوري أو غير الأسطوري لحكاية فلكلورية، أو عائلة من مثل هذه الحكايات، والمحاولات التي قامت لتأويل هذه الحكايات وفقاً للأساطير كان مآلها الإخفاق الذريع.

ويبدو لي أنَّ ثمّة قدراً كبيراً من الخلط الفكري فيما يتعلّق بالباعث الأسطوري الذي يُزعَم أنّه يقف وراء كثير من الحكايات

Twitter: @ketab_n

الفلكلورية؛ إذ يُخلَط بين التفسير الأسطوري لحكايةٍ ما وبين أصلها وباعثها الأسطوريين. ونحن لا نلقي سوى قليل من الضوء على هذا الأمر حين ننسب شتى الحوادث في حكاية فلكلورية إلى تعاليم أسطورية قديمة. ومثل هذه المحاولة تشبه الجهود التي بذلها شُرّاح الوثنية المنهارة من الأفلاطونيين الجدد، فقد سعوا لأن يُظهِروا حصافتها بإضفاء تأويلٍ روحاني مرهف ومعقّد على ما شهده تعدد الآلهة من حوادث مادية وفاحشة. والسؤال -الذي كثيراً ما غاب عن الأنظار- ليس ما إذا كان من الممكن التوفيق على هذا النحو بين حوادث الأساطير الوثنية وعقلِ فيلسوفٍ معين، بل ما إذا كانت الحوادث ذاتها قد أُنْشِئَت بقصدِ تقديمِ حقيقةٍ روحيةٍ للعقل، وجُسِّدَت لكي تنقل مثل هذه الدروس الروحية إلى أفهام المتعبّدين. وثمّة نظام مماثل ينبغي أن يُلْحَظ لدى تفحّص هذه الحكايات وتأويلها؛ فألمع تأويلٍ لحكايةٍ فلكلورية، وألمع نِسْبَةٍ لها إلى حوادث أسطورية، لا يمضيان بنا خطوة واحدة باتجاه تحديد باعثها، وإلقاء الضوء على ضروب الغموض التي تحيط بأصلها. فحضور الحوادث الأسطورية في حكاية لا يفسّر أصلها أيّ تفسير، ولا يساعدنا على إثبات أنّ لهذه الحكايات طابعاً أسطورياً. والأدب الشعبي -خاصةً ذاك الأدب الذي أتحدّث عنه- لابد من أن يعكس نبرة العقل الشعبي؛ وإذا ما

Twitter: @ketab_n

كان للأساطير سيطرة مُعْتَبَرَة على العقل الشعبي، وقت إبداع الحكاية أو خلال نموها، فإنَّ هذه الواقعة يُدَلُّ عليها من خلال الشخصيات المقدَّمَة، كما من خلال الصبغة العامة المضفاة على الحكاية ذاتها؛ تماماً كما يَصْبُغُ عقلٌ عميق التدين إبداعات الخيال أو نتاجات الفكر بقناعاته الدينية. لكن الحكايات والمقالات العلمية قد تكون مسيحيةٍ على نحو عميق لجهة روحيتها أو طابعها المميز دون أن نضطر لأن نعزو إلى مؤلّفيها نيّة أن يقدّموا، بهذه الطريقة، شرحاً باطنياً لأركان العقيدة.

وينبغي ألا ننسى أنّه حين نشأت معظم المواد الأولية، التي بنيت منها هذه الحكايات الفلكلورية، كان تعدد الآلهة قد عَمَرَ البساتين والأنهار، والجبال والوديان والتلال والسهول والسماء من فوق والبحر العميق من تحت، بل ومركز الأرض، بكائنات خارقةٍ للطبيعة. فكلُّ يوم وكلُّ جزء من الحياة له وَصِيُّهُ؛ وكلُّ عائلة لها إلهها المنزلي؛ وكلُّ فرد له روحه الحافظة أو الحارسة. وكانت كليّة الوجود مقسّمة إلى ذرّات، وثمّة ذرّة حاضرة في كلِّ مكان. وفي مثل هذه الظروف كان من الصعب بناء حكاية أو إعادة ترتيب شذرات حكايات أسبق دون إدخال عناصر الاعتقاد الشعبي هذه. ومن غير هذا، ما كان لحكايةٍ أن تغدو

Twitter: @ketab_n

حكايةً فلكلورية. لكن ذلك لا يرجّح بأيّ حال من الأحوال الدلالة الأسطورية أو الأصل الأسطوري لهذه الحكايات، إلا بقدر ما يثبت إدخال البنادق والمسدسات، والغاز أو التلغراف، في حكاية حديثة أن لها باعثاً عسكرياً أو علمياً.

واعتقادي، أنَّ عيّنةً من عينات الطريقة التي تُؤوَّل بها الحكايات الفلكلورية أسطورياً كفيلة بأن تبيّن في آنٍ معاً كلاً من ألمعية المؤوِّل وغياب أيّ أساسٍ لهذا التأويل. والحكاية التي أوردها كعيّنةٍ لهذا النوع من المعالجة هي حكاية تَرِدُ بأشكال عديدة في إنجلترا، وفي جنوب إيطاليا، وفي ألمانيا، وفي التيرول[1]، وفي هنغاريا، وأيسلندا، وسوابيا[2]، ووالاشيا[3]، واليونان، وربما في بلدان أخرى، شأنها في ذلك شأن الحكايات الفلكلورية عموماً. وسوف أعرضها هنا كما ترد في كتاب «حكايات أُسَريّة يونانية حديثة»، الذي قام بتحريره فون هاهن، لأن الرواية اليونانية لهذه الحكاية لها ميزة أنّها أقصر من معظم مُنوّعاتها. أمّا التفسير الألمعي على الرغم من كونه خيالياً فنجده في تذييل كتاب السيد هندرسون «ملاحظات حول فلكلور مقاطعات إنجلترا الشمالية».

---

(1) منطقة في الألب باتت اليوم مقسّمة بين النمسا (ولاية) وإيطاليا (قرية) (م).
(2) منطقة تاريخية ولغوية على حدٍّ سواء في ألمانيا. وفي العصور الوسطى كانت تضم بقاعاً أخرى من دول أخرى (م).
(3) منطقة تاريخية وجغرافية تشكّل الآن جنوب رومانيا (م).

Twitter: @ketab_n

«رجلٌ وامرأةٌ لم يعقبا خلفةً؛ تضرَّعت المرأة كي تُرْزَق بولد، ولو كان ثعباناً؛ وبعد زمن وضعت ثعباناً، ترك البيت واتّخذ جحْرَاً مسكناً له.

المرأةُ نكدةٌ مريعة، وسيئة فوق ذلك؛ تجلب على البيت الفقر، فتمضي إلى الثعبان لتطلب منه أن يسعفها. يعطي الثعبان أمَّه حماراً يبعر ذهباً، ويحذّرها ألاّ تدعه يمسّ الماء. يعيش الزوجان على الذهب لفترة، لكن المرأة تقود الحمار في آخر الأمر إلى الماء، فيهرب ويضيع. وتعود ثانيةً إلى ولدها، الذي يعطيها كوزاً يفعل كل ما تريد، فتبيعه للملك، وتُرَدّ إلى الفقر. فيمضي الرجل العجوز هذه المرة إلى جحر الثعبان ويحصل على عصا، يقول لها: «ارتفعي، أيتها العصا، وقومي بواجبك!»، فتضرب المرأةَ على رأسها وتقتلها؛ ويعيش الرجل بعد ذلك في هناءٍ دائم».

وعلى هذا، يعلّق الكاتب الذي يتولّى تأويل هذه الحكاية، قائلاً:

«ثمّة أدلّة قوية تثبت أنّ هذه القصص تقوم على أساس أسطوري مشترك. فالحيوان الذي يبعر ذهباً، والمائدة المسحورة أو غطاء المائدة المسحور، والعصا التي تعمل وحدها، كلُّ ذلك يظهر في بعض حكايات الهند القديمة، ودلالته الأصلية دلالةٌ واضحة.

Twitter: @ketab_n

المعلم، الذي يهب الهِبات الثمينة الثلاث، هو الأب الكليّ، أو الروح الأسمى. والحمار الذي يبعر ذهباً وجواهر هو سحابة الربيع المعلّقة في السماء، وتزخّ تلك الزخّات الربيعية المثمرة. والمائدة التي تغطي ذاتها هي الأرض وقد اكتست بالزهر والثمر بإيعازٍ من السنة الجديدة. لكن عائقاً هناك؛ المطرُ منحبسٌ، وعملية الإنبات متوقفة، بفعلٍ من أفعال الشرّ. عندئذٍ تأتي غيمة الرعد، ومنها يثب البرق وتنهمر الأمطار، فتتلقاها الأرض، وتكتسي بالخير العميم، وكلُّ ما كان ضائعاً يُسْتَعاد».

لا يظهر حادث إخراج البعر الجواهر إلا في رواية نابولي، الواردة في «بنتاميرون» جيامباتيستا باسيل[1]، ومن الواضح أنّه إضافةٌ من لَدُنْه إلى القصة الأصلية. ويبدو لي أنّ تفسير معنى الحكاية كان يمكن أن يُسْتَمدَّ على نحوٍ مناسبٍ من ميدان العلم أو التاريخ، وأن تؤوَّل بيسرٍ بألف طريقة وطريقة أخرى. وإذا ما كانت الحكاية الفلكلورية قد جسّدت، في الأصل، حقيقةً أسطوريةً معينةً، الأمر الذي يمكن إثباته أو نفيه بالقَدْرِ ذاته من الصواب، فإنّ هذه الواقعة لا قيمة لها لجهة مساعدتنا في تحديد ما كانت عليه مقاصد مبتدع الحكاية.

(1) Naples، 1637.

Twitter: @ketab_n

والرمزية الأسطورية، شأنها شأن كثيرٍ مما يُعْتَبَر رمزيةً كهنوتية، هي شهادة على ألمعية المؤوِّل؛ مع أنَّ لا وجود لها، غالباً، في الموضوع المؤوَّل. ولعلّنا نقدر أن نحلّ أشدَّ الوقائع إشكالاً، كما نشاء، إلى خيالات غير محسوسة؛ لكن الواقعة تبقى، وتبقى بعد أن يخبو الخيال ويذوي عائداً إلى عدمه الأصلي أو يتلبّث مقتصراً على كونه مجرّد فَلْتَة جميلة من فلتات المخيّلة. فالقياصرة الاثنى عشرة كانوا شخصيات حيّة وتاريخية، مع أنَّ مُتَأوِّلاً ألمعياً كان قد اختزلهم إلى ضروب أسطورية من عدم الوجود، وتتبّعَ فيهم شَبَهَاً بعلامات البروج الاثنى عشرة. حقّاً، إنَّ للحوادث الأسطورية والسِّيرية البطولية ميلاً إلى الارتباط برجال ونساء واقعيين إلى أن تخفي، مثل نباتاتٍ طفيليةٍ ملتفّةٍ حول جذع شجرة، الطابع الفعلي لأولئك الذين كَسَتْهُم على هذا النحو. غير أنَّ السِّر ريتشارد ويتنغتن[1] كان رئيس بلدية لندن، مع أنَّ الأصوات المسموعة من على قَرْن تلّة هاي غيت –

«حين جلس على حجرٍ، وكان صبياً ذابلاً

(1) السِّر ريتشارد وتنغتون (1354– 1423) تاجر وسياسي قروسطي، كان رئيس بلدية لندن وعضواً في البرلمان. موّل كثيراً من المشاريع العامة الخيرية، كالصرف الحي في المناطق الفقيرة من لندن القروسطية وسواه. وشخصية ديك وتنغتون القصصية والمسرحية الشهيرة (مع قطته) إنما تستند إلى ريتشارد وتنغتون، الذي يتضح هنا أنّ الشاعر الإنجليزي العظيم وردزورث كان قد تعرّض لحياته في قصيدته الأشهر «الفاتحة» (م).

Twitter: @ketab_n

وبلا أصدقاء، وسمع الأجراس تجهر

بموسيقا فصيحة»[1]

ما عاد لها أيّ وجود واقعي يزيد على وجود قطته الشهيرة، ومع أننا لا ندين فيما يتعلق بالوسائل التي جُمِعَت بها ثروته العظيمة إلا إلى الابتداع اللطيف الذي ابتدعه كاتب حكايات شعبية.

ربما كان لكثيرٍ من هذه الحكايات أصلٌ تاريخيّ، ولعلنا نجد، لو استطعنا استعادة شكلها التاريخي، أنها تسجّل حوادث واقعية في حياة شخصية تاريخية أو أمّة. غير أنّه لا يكاد يسعنا الآن أن نخمّن ولو مجرّد تخمين شكلها الأصلي. فالأجيال المتعاقبة من الحكواتية أضافت إلى الحكاية الأصلية، استبدلت بالحوادث القديمة حوادث يفهمها الجمهور على نحوٍ أفضل، ملتجئةً بذلك إلى أقرب ميول هذا الجمهور. وحين نُقِلَت من موطنها إلى أرضٍ بعيدة تغيّرت الصبغة المحلية، وأَخْلَت العاداتُ المستغلقة المكانَ لأخرى دارجة، حتى لم يبقَ من الحكاية القديمة سوى أقلّ القليل، وبات من المستحيل، حتى بمساعدة التحليل المقارن، كشفُ الشكل الذي برزت فيه أولّ مرة. ولقد وجد شكسبير، على الرغم من وجود أدبٍ مكتوب ومعلومات منتشرة، أنّ من

(1) Wordsworth، « The Prelude »

Twitter: @ketab_n

الضروري للقصص التي عَمِلَ على مَسْرَحَتِهَا أن تشتمل على أدواتٍ وأجهزة أَخْرَجَتْهَا إلى النور الاكتشافاتُ الحديثة، وهذا هو سبب تلك المفارقات الزمنية الوافرة في مسرحياته.

وإذا ما كانت هذه هي الحال حتى متى كان الأدب القومي أدباً مكتوباً، فإن بمقدورنا أن نثق مقدّماً بأننا لابدّ من أن نجد حكواتيّ السلاف الجنوبيين يطيل حكايته وينوّع عليها، ليس من مخازن علم الآثار القديمة، بل من تلك العادات الشائعة، اليومية التي تستهوي كثيراً جمهوره البسيط.

والقارئ الذي أَلِفَ الحكايات التي جمعها الجامعون المحدثون، سوف يتتبّع في هذا الكتاب، من غير صعوبة، شذرات الحكايات البدئية التي بنى منها الحكواتية في كلّ أصقاع الأرض وعلى مدى أجيال كثيرة حكاياتهم الخاصة أو وسّعوها. ولذلك لم أجد من الضروري أن أقوم بهذا التتبّع. غير أني أضفت بضع ملاحظات على بعض الحكايات التي يضمّها هذا الكتاب، هي مجرد توضيحات للطريقة التي بُنيت بها انطلاقاً من مواد أسبق: مثلما بُنيَت قصور النبالة الرومانية المحدثة انطلاقاً من مرمرٍ أُريد له في الأصل أن يخلّد ذكرى انتصارات الجمهورية وبهاء ممثلي الإمبراطورية.

Twitter: @ketab_n

وفي الحكاية المُعَنْوَنَة «العدل أو الظلم»[1]، نجد أنَّ الطريقة التي تُسْتَدرَج بها ابنة الملك إلى ظهر السفينة، وتُخطَف مع وصيفاتها، لابدّ من أن تذكر بالحدث الذي يروى في الفقرة الافتتاحية من تاريخ هيرودوت. فالتشابه بين قصة اختطاف ابنة إيناخوس من قِبَل التجار الفينيقيين، وقصة الاختطاف في هذه الحكاية، هو تشابهٌ وثيق إلى درجة يصعب معها أن يكون مجرد مصادفة. وقد يحسب بعضهم أنَّ هذا يعزز الفكرة التي مفادها أنَّ رواية هيرودوت هي رواية أسطورية؛ وقد يحسب آخرون أن الحكاية الصربية قد تكون قائمةً على واقعة تاريخية. وما يدلّ على أنَّ الحكاية الواردة في هذا الكتاب ليست من أصل صربي، هو إدخال الفيلة، ووَصْفُ أَسْرِهَا بعد تسميمها! أمّا عودة البطل إلى الحياة بفضل «ماء الحياة»، فهي حدث شائع في كثير جداً من هذه الحكايات الفلكلورية، ولعلّ من الإنصاف أن نعدّها «جذراً حكائياً أساسياً». ففي حكاية «باش تشالِك»، يُضفَى على ماء الحياة هذا طابع مسيحيّ ويتحوّل إلى ماء نهر الأردن، في حين يبقى في الطبعة السلافية الشمالية من هذه الحكاية «ماء الحياة» الذي يُدَّخَر كوسيلة يُستعاد بها البطل من الموت. والحكاية الصربية تتبع النمط

(1) Ralston's «Russian Folk-Tales,» p. 85.

Twitter: @ketab_n

الروسي عن كثب في معظم الجزئيات، وربما أمكنت مقارنتها مع الحكاية التي ترجمها السيد رالستون تحت عنوان «ماريا موريفنا»[1]. فـ الفولاذ الأصلي (باش تشالِك)في الحكاية الصربية هو الكوشتشي الذي لا يموت في القصة الروسية؛ ومن الواضح أنَّ الأخ الأصغر في القصة السلافية الشمالية هو الأمير إيفان في الحكاية السلافية الجنوبية. كما أنَّ اثنين من الخُطّاب هما نفسيهما في كلتا الحكايتين، والاختلاف الرئيس هو أنَّ الحكاية الفلكلورية الصربية تُدخِل الغراب بدلاً من التنين في الحكاية الروسية. أمّا حكاية «الإخوة الثلاثة» البوسنية فهي مثال حسن على الطريقة التي تجري بها توسعة هذه القصص. ذلك أنَّ لدينا هنا ثلاث حكايات منفصلة وُضِعَت في حكاية واحدة، ينبغي البحث عن حوادثها المتنوعة في تشكيلة منوَّعة من الحكايات وفي بلدان مختلفة. فمن ناحية أولى تبدو هذه الحكاية كأنها صدىً لقصة مصرية، مكتوبة على ورقة بردى يعتقد أنها تعود إلى زمن خروج بني إسرائيل، ومحفوظة في المكتبة الإمبراطورية. ولقد قدّم السيد غودون ملخصاً لهذه القصة في مقالات كيمبرج لعام 1858. والقفزة المدهشة التي يقفزها حصان الأخ الأصغر ليست إلا مبالغة في العمل

(1) Ralston's «Russian Folk-Tales,» p. 85.

Twitter: @ketab_n

البطولي المبالغ فيه أصلاً الذي يقوم به حصان بوذا، كنتاكو، بطوله البالغ ستة وثلاثين قدماً، وقدرته على أن يقطع ثلاثمئة من الأميال في ليلة واحدة، والذي حين تعيقه الآلهة، يتغلب على العوائق التي تعترض تقدّمه إذ يقفز قفزةً يجتاز بها نهر أنوما، الذي يبلغ عرضه مائتين وعشرة أقدام[1]. غير أنَّ تفاصيل هذا الجزء من القصة تتوافق جزئياً مع وصف تلك القفزة التي يقفزها حصان راما راجا الذي يقوم بثلاث قفزات متتالية، ليس فوق نهر عريض وحسب، بل أيضاً فوق أربعة بساتين كثيفة ومرتفعة من الكوبال، والسوباري، والجوّافة، وجوز الهند، كما يُحكى في قصة «راما ولكشمانا»[2]. ومن جديد، فإنَّ الأسنان الحديدية لدى الأخت في القصة البوسنية تشكّل جزءاً من العجائب في قصة «الساحرة»[3] الروسية، ولها مقابلها في قصة «الستريغلا»[4] اليونانية. أمّا الطريقة التي تُهلك بها العجوز ضحاياها بإلقاء شعرة من رأسها عليهم فهي شائعة أيضاً في هذه الحكايات الفلكلورية، وفي كثير من الحكايات التي يمكن أن نجدها في مجموعاتٍ مماثلة تُحكى في بلدان متباعدة كثيراً.

(1) Hardy's «Legends and Theories of the Buddhists», p. 134.
(2) Frere's «Old Deccan Days,» p. 76.
(3) Ralston's «Russian Folk-Tales,» p. 163.
(4) Hahn's « Modern Greek Household Tales,» No. lxv.

Twitter: @ketab_n

أمّا حادثة الشجرة التي تطلع من القبر في حكاية «التوأم ذهبيّ الشعر» الصربية فتشكّل أيضاً جزءاً من قصة «بَنشكِن» في مجموعة القصص من دكن[1]، حيث تفضي شجرة البوميلو التي تطلع من قبر شخص قتيل إلى معرفة القاتل[2]. وترد هذه الحادثة ذاتها مرة أخرى في حكاية «انتصار الحقيقة» في المجموعة ذاتها[3]، حيث يُعلَّم قبر أطفال الملك وجزرا باي البالغ عددهم مائة وواحد، بعد أن تقتلهم الملكة، زوجة أبيهم، ويدفنون بأمر منها، بشجرةٍ تطلع منه وحدها؛ وحين تُقطَع شجرة المانغا هذه بأمر الملكة التي تأمر بإحراقها أيضاً، يحول ارتفاع المياه دون تنفيذ الأمر، ويعوم الجذع إلى مكان آمن، ثم يستقر على ضفة، ويتحول إلى الأطفال من جديد.

وفي قصة «من حفر حفرة لأخيه وقع فيها» تظهر شذرة أخرى مما تجرأت على تسميته «شذرات بدائية»، نظراً لشيوع الانتفاع بها في بناء الحكايات الفلكلورية لدى شتى الأعراق. ففي هذه القصة يطلب المارد مكافأةً له أن يأخذ ما كان الشيخ قد «نسيه في البيت»؛ فيحصل على واحدٍ من أبناء هذا الأخير، هو الذي تُرِكَ

(1) هضبة دكن هي هضبة واسعة في الهند تشكّل معظم الجزء الجنوبي من القارة (م).
(2) «Old Deccan Days»، p. 4.
(3) المصدر السابق، ص 54.

Twitter: @ketab_n

في البيت عندما انطلق أخوته الكثر سعياً وراء العرائس. وهذا ما يعاود الظهور في حكاية «ملك الماء وفاسيليسّا الحكيمة»[1]، وكذلك في قصة «الشباب» من تلك المناطق ذاتها[2]. أما الجزء الأخير من الحكاية فيشبه حوادث الحكاية الهندية «سرينغابوجا». وفي قصة «حبّة الخردل»، فإنَّ حادثة دبابيس الحرب التي يطلبها البطل، ولا يرضى بها حتى يُصنع الدبّوس الثالث الذي يجتاز اختبار رميه في الجوّ ونزوله على جبهة «حبّة الخردل» دون أن ينكسر، لكنه يشدخ وحسب جبهة البطل، لا يقتصر ورودها على الحكاية الصربية «ابن الدبّ» وحسب، بل ترد أيضاً في حكاية «إيفان بوبيالوف» الروسية، التي ترجمها لنا السيد رالستون؛ في حين أنَّ الخداع الذي يمارسه على «حبّة الخردل» مرافقاه اللذان يتركانه في حفرة عميقة نزل إليها، ومغامراته اللاحقة سواء تحت الأرض أو فوقها، تكاد تكون مطابقةً لما نجده في حكاية فلكلورية روسية أخرى هي «النوركا»[3].

ولقد أشرتُ إلى هذه التشابهات والاستعارات المتنوعة، أو بالأحرى إلى هذه التنويعات على الأصل الواحد ذاته، لأنها تلقي الضوء على الكيفية التي تُبنى بها الحكايات التي نجدها في أرجاء

(1) Ralston's «Russian Folk-Tales,» p. 120.
(2) المصدر السابق، ص 139.
(3) المصدر السابق، ص 73.

Twitter: @ketab_n

الدنيا من شذرات هي ملكية مشتركة لبني البشر. ولا أحسب أنّه من الضروري أن نتتبّع جميع التشابهات مع الحكايات الأخرى، أو جميع الاستعارات من المخزون المشترك. فمعظم قرائي يستطيعون أن يقوموا بذلك بأنفسهم. وسوف أكتفي بأن أورد لهم مثالاً عن بناء الحكاية. فلقد رأينا أنَّ مخزون المواد الأصلية التي بُنيت منها هذه الحكايات الفلكلورية هو مخزون محدود في مداه، نسبياً، وأنَّ ذلك العدد الضخم من الحكايات التي تشكّل الأدب الشعبي العالمي ليس سوى دليل على المهارة التي ضَفَرَ بها أساتذة الفلكلور هذه المواد الشحيحة. فأدب أمةٍ من الأمم ليس في النهاية سوى الحصيلة التي تترتب على ضَفْرِ عشرين وبضعة من الأصوات والحروف.

وفي صربيا ثمة تميّزٌ لافتٌ في استخدام النثر والإيقاع في هذه الحكايات الفلكلورية. فالنثر هو الأداة المستخدمة في الحكايات التي ترويها النساء؛ أما الإيقاع فحقٌ مقصور على الرجال. والقصص المنثورة عادة ما تُحكى في الدائرة المنزلية، وفي تجمعات النساء. ففي أمسيات الصيف حين تكون أعمال الحقل وأشغال المنزل قد انتهت، كان من المعتاد في القرى الصربية ولا يزال أن تجتمع الصبايا برفقة بعض الصديقات الأكبر سناً، تحت

Twitter: @ketab_n

أغصان شجرة وارفة كبيرة، وبينما تنهمك الصبايا بالغَزْل، تعمد بعض النساء الأكبر سناً إلى تسلية البقية بحكاية هذه الحكايات التقليدية. أما الرجال فيُقْصَون عن هذه التجمعات، إذ ينظر إلى حكاية القصص التي تشغل الجزء الرئيس من تلك الأمسيات على أنها انشغال أنثوي على وجه الحصر. وهذه القصص هي قصص نثرية على الدوام.

وثمة حكواتية من الرجال. لكن حكاياتهم تتخذ طابع القصائد في كلِّ مرّة، وعادةً –إن لم يكن دائماً– ما يرافقها عزفٌ على آلة موسيقية تشبه الربابة يجري على نغمة واحدة. ويمكن القول عموماً إنَّ هذه القصائد تروي حوادث تاريخية أو أسطورية من حياة الأمة؛ مع أنها قد تكون في بعض الأحيان من نوع الحكايات الفلكلورية التي نجدها في هذا الكتاب، والتي تروى في حلقات النساء. غير أنه حين يكون الحال على هذا النحو الأخير، فإنَّ التميّز الذي سبقت الإشارة إليه يُراعى تلك المراعاة الصارمة. فالحكاية الفلكلورية التي ترويها امرأة تكون منثورة؛ أما إذا رواها رجلٌ هي ذاتها فلا بد أن توضع في قالب شعري. ولا تخرج عن ذلك حتى السير البطولية المسيحية الصرف، التي نقدّم لقارئ هذا الكتاب عيّنة منها شائعة في البوسنة

Twitter: @ketab_n

والهرسك، هي «سيرة القديس جورج البطولية»، التي تروى بمعونة من الإيقاع. ولعلّه أن يكون صحيحاً ما يفترضه بعضهم من أنَّ السير البطولية من هذا النوع الأخير كان يرويها الكهنة في كنائسهم، منثورةً ربما. أما وقد باتت ملكاً للحكواتية المحترفين فقد أُلبِسَت زيّاً ذكورياً من الشعر. وهذا الملمح الهوميري (من هوميروس) الذي يميّز العادات الصربية آخذٌ في الاحتضار إلى جانب خصائص قومية أخرى. غير أنه لا يزال بعيداً عن الموت، واستخدام مثل هذه الأشعار لا يقتصر على الاحتفاء بأمجاد حكم ستيفان دوشان[1]، أو بطولة جورج برانكوفيتش[2]، أو هزيمة كوسوفا الفاجعة[3]. فالسجالات الطويلة المملة التي شهدها البرلمان الوطني، أو السكوبتشينا، عام 1870، حول حرية فتح الدكاكين والتعيّش منها في القرى بخلاف البلدات، جرى إيجازها وأشيعت في أرجاء البلاد بطريقة لا بدَّ أن تُدْهِش من يقرأون سجالات برلماننا الإنجليزي. فقد اتّخذ النقاش بأكمله،

(1) الملك الذي بلغت قوة الصرب ذروتها في عهده الذي استمر من 1331 إلى 1355 (م).

(2) بعد موت دوشان سرعان ما انقسمت إمبراطوريته إلى ثلاث دول: صربيا في الشمال التي بقيت لابن دوشان (اوروش) الملك الأخير من أسرة نيمانيا، بينما استقل جورج برانكوفيتش –ممثل العائلة المنافسة لأسرة نيمانيا– بجزء من مقدونيا وجزء من كوسوفا، بينما تولت أسرة بالشاي حكم الجزء الآخر من كوسوفا وألبانيا الشمالية بالإضافة إلى الجبل الأسود (م).

(3) في «معركة كوسوفا» عام 1389، على يد العثمانيين الذين صدّعوا الدولة الصربية الكبرى وحجّموها وكرّسوا الوجود العثماني– الإسلامي في قلب البلقان (م).

Twitter: @ketab_n

مع حجج مختلف المتكلمين، شكل أغنية أو قصيدة طويلة، تُلقى في الهواء الطلق أمام القرويين المحتشدين لسماع كيف جرى الجدال وإلامَ انتهى. ولعلّ هذه الطريقة ذاتها هي التي اتبعها أبو الشعر، وأمير الحكواتية، أو أولئك المغنون المحترفون، إذا ما صدّق المرء نظرية وولف[1]، فوضع الأحداث العسكرية والبحرية، وحجاجات القادة الكبار، والسجالات أمام خيمة أغاممنون، أو في مجلس شورى طروادة، في قالب شعري، وبذلك اشتُهِرَت في أرجاء اليونان جميعاً في شكل الإلياذة. ومهما يكن الأمر، فإنّ تلك الممارسة التي لا تزال حيّة في صربيا هي مثالٌ على الطريقة التي نقل بها هوميروس صربي إلى أبناء بلده تفاصيل الاجتماعات في مجلس الشورى والمناوشات التي جرت في السهل وأضفت تنوعاً على تاريخ حصار، فضلاً عن مختلف التقادير التي شغلت اهتمامهم.

(1) فريدريش أغسطس وولف، العلامة الألماني صاحب كتاب «مدخل إلى هوميروس» الذي رفض فيه وجود هوميروس واحد (م).

Twitter: @ketab_n

# باش تشالِك أو الفولاذ الأصلي

كان لملك ثلاثة أبناء وثلاث بنات. وغلبته الشيخوخة في آخر الأمر، ودَنَا الأجل. وبينما هو على فراش الموت، دعا إليه جميع أولاده، وقال لأبنائه أن يزوّجوا أخواتهم من أول من يأتون طالبين أيديهنّ. «افعلوا ذلك وإلا حل عليكم غضبي!»، قال هذا، و لم يلبث أن لفظ أنفاسه الأخيرة.

بعد وفاته بفترة جاءت ليلة سُمِع فيها طرقٌ شديد على البوابة ارتجّ له القصر كلّه، ثمّ سُمِع في الخارج صوت صرير وغناء وصياح، وأضيئت الأنوار في رحاب القصر جميعاً. وفزع من في القصر أشدّ الفزع، بل ارتعدوا من الخوف، حين تعالى فجأةً صياحٌ من الخارج: «أيها الأمراء! افتحوا الباب!». فقال أكبر أبناء الملك: «لا تفتحوا!»، وأضاف الأوسط: «لا تفتحوا، كائناً ما كان الأمر!». لكن الأصغر قال: « سأفتح الباب!»، ووثب إلى الباب وفتحه.

لحظة فَتَح الباب دَخَل شيءٌ ما، لكن الأخ لم يستطع أن يرى أيّ شيء سوى ضوء ساطع في جزء من الحجرة، وعن هذا الضوء

Twitter: @ketab_n

صدرت الكلمات الآتية: «جئتُ طالباً يد أختكم الكبرى، وسوف آخذها في الحال، دون تلكّؤ؛ لن أنتظر، ولن أعود ثانيةً لأطلب يدها! فأجيبوني بسرعة؛ أتعطونني إيّاها أم لا؟».

قال الأخ الأكبر: «لن أعطيها. كيف أعطيها وأنا لا أستطيع أن أراك، ولا أعلم ما أنت، أو من أين أتيت؟ جئت الليلة أول مرّة، وتريد أن تأخذها في الحال! ألا ينبغي أن أعلم أين يمكنني أن أزور شقيقتي ذات مرّة؟».

وقال الأوسط: «لن أقبل أن تؤخذ شقيقتي الليلة!».

لكن الأصغر قال: «أمّا أنا فسوف أعطيها. أنسيتم ما أَمَرنا به والدنا؟». ثم أمسك بيد أخته، وقدّمها، قائلاً: «عساها أن تكون زوجةً تسعدك وتخلص لك!».

وحين تخطّت الأخت العتبة خرّ الجميع من الخوف، لأنَّ الضوء كان شديد السطوع وقَصْف الرعد مرتفعاً جداً. وبدت السموات كأنّها اشتعلت وراحت تدوّي، حتى إنَّ القصر برمّته اهتزّ كأنه يوشك أن ينهار. غير أنّ ذلك كلّه انتهى، وسرعان ما بزغ الفجر، وحين أنيرت الدنيا بما يكفي، مضى الأخوة ليروا إنْ كانت تلك القوة العاتية، التي أعطوها شقيقتهم، قد خلّفت أيّ

Twitter: @ketab_n

أثر يمكّنهم من تتبّع الطريق الذي سلكته. غير أنّه لم يكن هنالك ما يمكن أن يروه أو يسمعوه.

وفي الليلة الثانية، حوالي الوقت ذاته، سُمِعَت في أرجاء القصر جَلَبَةٌ رهيبة، كأنّ جيشاً كان يصفر ويفحّ، ثمّ صاح أحدٌ عند الباب: «افتحوا، أيها الأمراء!». وخاف هؤلاء أن يعصوا الأمر، وفتحوا الباب، فأخذت قوةٌ مخيفة تتكلم: «هاتوا الفتاة، أختكم الثانية! جئت أطلبها!». فقال الأخ الأكبر: «لن أعطيها!» وقال الأوسط: «لن أعطيك شقيقتي!». أما الأصغر فقال: «سأعطيها! أنسيتما ما أَمَرنا به والدنا؟». ثم أمسك بيد أخته وقدّمها، قائلاً: «خذها. عساها تكون زوجةً مخلصةً تجلب لك السعادة!». فأخذت الجلبة الخفيّة الفتاة ومضت. وفي اليوم التالي، عند الفجر، طاف الأخوة الثلاثة حول القصر، وأبعد منه، مفتّشين في كلّ مكان عن أثر يدلّ على وجهة تلك القوّة، غير أنه لم يكن هنالك ما يمكن أن يروه أو يسمعوه.

وفي الليلة الثالثة، في الساعة ذاتها كما من قبل، ارتجّت أركان القصر من جديد، وكان ثمّة هدير هائل في الخارج. ثم صاح صوت: «افتحوا الباب!» نهض أبناء الملك وفتحوا الباب، فدخلت قوة عظيمة وقالت: «جئت أطلب أختكم الصغرى!».

Twitter: @ketab_n

فصاح الأكبر والأوسط بين الأبناء: «لا! لن نعطي أختنا هذه الليلة الثالثة! ينبغي أن نعلم أولاً لمن نعطي أختنا الصغرى، وإلى أين ستذهب، فيمكن لنا أن نزورها حين نشاء!». لكن الأخ الأصغر قال: «أما أنا فسوف أعطيها! هل نسيتما ما أوصى به والدنا وهو على فراش الموت؟ لم يمضِ وقتٌ طويل على ذلك!». ثمّ أمسك بيد الفتاة، وقال: «ها هي خذها! عساها تجلب لك السعادة وتسعد بك!». وسرعان ما غادرت القوة بصخبٍ عظيم. وحين بزغ الفجر كان الأخوة في أشدّ القلق على مصير أختهم، لكنهم لم يجدوا أيّ أثر للدرب الذي سلكته.

بعد فترةٍ قال الأخوة، وهم يقلّبون الأمر بينهم: «يا إله الخير! إنّه لعجيب حقّاً ما جرى لأخواتنا! لا أنباء عنهنّ، ولا أثر لهنّ! لا نعلم أين ذهبن، ولا بمن تزوّجن!». وفي النهاية قال واحدهم للآخر: «لنمضِ ونبحث عن أخواتنا!»، فأعدّوا العدّة رحلتهم في الحال، وأخذوا مالاً لنفقات السفر، ومضوا باحثين عن أخواتهم الثلاث.

وفي لحظةٍ من سفرهم أضاعوا دربهم في غابةٍ، وراحوا يطوفون على غير هدى. ومع حلول الظلام خطر لهم أن يقضوا الليل في مكان فيه ماء. وحين وصلوا إلى بحيرةٍ، قرّروا أن يناموا بقربها، وجلسوا يتناولون عشاءهم. ولمّا أتى وقت النوم، قال

Twitter: @ketab_n

الأخ الأكبر: «سأحرسكما أثناء نومكما!». فغطَّ الأخوان الأصغران في النوم وراح الأكبر يحرسهما. وفي منتصف الليل هاجت البحيرة بشدّة، وخاف الأخ الذي يحرس كثيراً، خاصةً حين رأى شيئاً يأتي صوبه من وسط البحيرة. وحين دنا منه رأى أنّه قاطور مرعب له أذنان، يُسرِع نحوه؛ غير أنّه سحب سكينه وضربه، فقطع رأسه. ثم قطع أذنيه أيضاً، وضعهما في جيبه؛ أمّا الجسم والرأس فألقاهما في البحيرة. في هذه الأثناء راح الفجر يبزغ، لكن الأخوين ظلاّ نائمين و لم يعلما شيئاً عمّا فعله أخوهما الأكبر. وحين أيقظهما بعد فترةٍ لم يخبرهما بأيّ شيء، وواصل الجميع رحلتهم. وحين غربت شمس اليوم التالي، وبدأ الظلام يهبط من جديد، تشاوروا معاً حول مكان قضائهم الليلة وعثورهم على الماء. وكان الخوف قد بدأ يتسلل إلى قلوبهم، لأنهم كانوا يقتربون من بعض الجبال الخطرة.

وحين وصلوا إلى بحيرةٍ صغيرة قرّروا أن يقضوا الليل هناك، فأضرموا ناراً ووضعوا حوائجهم قربها، وأعدّوا العدّة للنوم. فقال الأخ الأوسط: «أنا أحرسُ هذه الليلة وأنتما تنامان!». فغطَّ الأخوان الآخران في النوم وبقي الأخ الأوسط يحرسهما.

فجأةً بدأت البحيرة تموج، وإذ بقاطورٍ برأسين يسرع

Twitter: @ketab_n

صوب الثلاثة كي يلتهمهم. لكن الأخ الذي يحرس أخرج سكينه وأردى التمساح بطعنةٍ واحدة، وقطع رأسيه الاثنين، ثم قطع آذانه الأربع ووضعها في جيبه، وألقى بالجسد إلى الماء، وألقى من بعده بالرأسين. غير أنَّ الأخوين الآخرين لم يعلما شيئاً عن الخطر الذي أُنقِذا منه، وواصلا سباتهما العميق إلى أن طلع الصباح.

عندئذٍ أيقظهما الأخ الأوسط، قائلاً: «انهضا، يا أخويَّ! طلع الصباح!». فقفزا في الحال، وراحا يعدّان العدّة لمواصلة الرحلة. غير أنهم ما كانوا يعلمون في أيّ بلدٍ هم الآن، وكانوا قد التهموا كلّ زادهم تقريباً، فخافوا كثيراً أن يقضوا من الجوع في تلك الأرض المجهولة. ولذلك فقد تضرعوا إلى الله أن يريهم مدينةً أو قرية، أو يقابلهم على الأقل بمن يدلّهم عليها، ذلك أنَّ ثلاثة أيام قد انقضت وهم يهيمون في البرية، من دون أن يصلوا إلى مكان. وفي الصباح الباكر وصلوا إلى بحيرةٍ كبيرة وقرروا أن يتوقفوا هناك، ليمضوا هناك بقية النهار، والليل أيضاً. قالوا: «إنْ واصلنا قد لا نجد ماءً نرتاح قربه». ولذلك مكثوا هناك.

وحين هبط الظلام أضرموا ناراً كبيرة. وتناولوا عشاءهم

Twitter: @ketab_n

البسيط، وأعدّوا العدّة للنوم. فقال الأخ الأصغر: «هذه الليلة أنا أحرسُ وأنتما تنامان». فمضى الآخران إلى لنوم، وبقي الأخ الأصغر مستيقظاً، يراقب عن كثب، وعيناه تتجهان أكثر ما تتجهان إلى البحيرة. وكان قد انقضى شطر من الليل، حين أخذت البحيرة تموج فجأة، حتى إنّ الرذاذ بلغ النار وكاد أن يطفئها. وعندها سحب الأخ الأصغر سيفه ووقف قرب النار، لأنّ قاطوراً ضخماً بثلاثة رؤوس كان يسرع نحو الأخوة الثلاثة ليلتهمهم جميعاً.

بيد أنَّ قلب الأخ الأصغر كان قلباً شجاعاً لا يهاب، فلم يوقظ أخويه، وواجه التمساح وحده، وسدّد إليه ثلاث ضربات متوالية، وفي كلّ واحدة كان يقطع واحداً من رؤوسه. ثم قطع آذانه الستّ ووضعها في جيبه، وألقى بالجسد والرؤوس الثلاثة إلى البحيرة. وأثناء انهماكه في ذلك كانت النار قد خمدت تماماً. ولأنه لم يكن لديه ما يضرم به النار، و لم يُرِدْ أن يوقظ أخويه من نومهما العميق، فقد توغّل في الغابة بعض الشيء علّه يجد شيئاً يعيد به إضرام النار.

غير أنّه لم يكن ثمة أثرٌ لنارٍ في أيّ مكان. وفي آخر الأمر تسلّق شجرةً باسقةً حتى بلغ قمّتها وراح ينظر في كلّ اتجاه. وبعد

Twitter: @ketab_n

تحديقٍ طويل حسب أنّه رأى وَهْجَ نارٍ قريبة. فنزل عن الشجرة ومضى في ذلك الاتجاه كي يُحْضِر جذوةً يمكن أن يشعل بها النار. استغرق الأمر مسيراً طويلاً، وقَدْراً كبيراً من الوقت، مع أنَّ الوهج كان يبدو قريباً منه في كلّ مرّة. فجأة، وصل إلى كهف، وكانت في الكهف نارٌ عظيمةٌ تضطرم. وحولها جلس تسعةٌ من المردة، كانوا يشوون رجلين، واحدٌ في كلّ جانب من النار. وعلاوةً على ذلك، كان ثمّة قِدْرٌ ضخمة ممتلئة بأطراف الرجلين جاهزةً للطبخ. وحين رأى ابن الملك ذلك، فزع أشدّ الفزع وودَّ لو يعود أدراجه، لكن ذلك لم يعد ممكناً.

فصاح بأعلى صوته وبأقصى ما يمكنه من البِشْر: «عمتم مساءً، يا رفاقي الأعزاء! إنني أبحث عنكم منذ زمن طويل!».

فاحتفوا به، قائلين: «أهلاً بك، إن كنت من رفقتنا!».

فأجاب: «سوف أبقى مخلصاً لكم أبد الآبدين، وأهب حياتي كرمى لكم!».

فقالوا: «إنْ كنت تبغي أن تكون واحداً منا، فعليك أيضاً أن تأكل لحم إنسان، وتخرج معنا باحثاً عن فريسة».

فأجاب ابن الملك: «لا شكّ؛ سوف أفعل كلّ ما تفعلونه!».

Twitter: @ketab_n

فصاح المردة: «تعال إذاً واجلس معنا!». وراح جميع المتحلّقين حول النار يتناولون اللحم من القِدْر ويأكلون. لكن ابن الملك كان يتظاهر بأنّه يأكل، وبدلاً من الأكل كان يلقي باللحم خلفه، ويخدعهم.

وحين أتوا على الشواء، نهض المردة وقالوا: «فلنمضِ الآن إلى الصيد، علّنا نقع على لحم للغد». فخرجوا جميعاً، التسعة، وابن الملك عاشرهم. وقالوا له: «تعال! ثمّة مدينة قريبة يعيش فيها ملك عظيم. ومنذ سنوات لا يحصرها العدّ ونحن نتزود بالطعام من تلك المدينة». وحين اقتربوا من المدينة اقتلعوا من جذورهما اثنتين من أشجار الصنوبر الطويلة وأخذوهما معهم. ولدى وصولهم إلى سور المدينة، أسندوا إليه واحدةً من شجرتي الصنوبر، وقالوا لابن الملك: «اصعد، الآن، إلى أعلى السور، كي يمكننا أن نناولك شجرة الصنوبر الأخرى، فتأخذها من قمتها وتلقي بها إلى المدينة. ولكن انتبه أن تبقى ممسكاً قمة الشجرة، كي نهبط على جذعها إلى المدينة». فتسلّق ابن الملك الجدار وصاح: «لا أعلم ماذا أفعل، لا أعرف هذا المكان، ولا كيف ألقي الشجرة من على السور، فليصعد أحدكم ويريني ما ينبغي أن افعل».

Twitter: @ketab_n

فتسلق أحد المردة الشجرة المُسْنَدَة إلى الجدار، وأمسك بالشجرة الأخرى من ذروتها وألقى بها من على السور، مبقياً على الذروة في يده طيلة الوقت. وبينما هو واقف على هذا النحو، سحب ابن الملك سيفه، وهوى به على عنق المارد، فقطع رأسه وسقط المارد داخل المدينة. ثم نادى ابن الملك المردة الباقين، «بات أخوكم داخل المدينة، تعالوا، واحداً إثر آخر، فأُنزلكم هناك!». وهكذا تسلق المردة واحداً إثر آخر، وهم لا يعلمون ما حدث لأولهم، فقطع ابن الملك رؤوسهم جميعاً. حتى لم يبق أحد من التسعة على قيد الحياة.

بعد ذلك، نزل هو نفسه ببطء على شجرة الصنوبر ودخل المدينة، وتجوّل في شوارعها جميعاً، فلم يَرَ فيها مخلوقاً واحداً حيّاً، وبدت مهجورةً تماماً. فقال لنفسه: «لا شكَّ أنَّ أولئك المردة هم السبب في كلّ هذا الخراب وفي هلاك الشعب جميعاً».

وبعد أن سار فترةً طويلةً، وصل إلى برج مرتفع، وحين رفع بصره رأى ضوءاً في واحدةٍ من حجراته. ففتح الباب، وصعد الدرجات، إلى الحجرة. ويا لها من حجرة جميلة تلك التي دخلها! كانت مزينة بالذهب والحرير والمُخْمَل، وما من أحدٍ في داخلها سوى فتاة مضطجعةً على أريكة، نائمةً. وما إنْ دخل ابن الملك،

Twitter: @ketab_n

حتى وقعت عيناه على الفتاة التي كانت فائقة الحسن. ورأى في الوقت ذاته ثعباناً ضخماً يهبط الجدار، ويمدّ رأسه يكاد يلدغ الفتاة في جبهتها، بين العينين. فسارع إلى سحب خنجره، وقذف به الثعبان مثبّتاً رأسه إلى الجدار، وهو يصيح: «إنْ شاء الله لا تنزع يدٌ خنجري من الجدار غير يدي!». ثمَّ أسرع مبتعداً، وقفز من فوق سور المدينة، متسلّقاً شجرة صنوبر وهابطاً أخرى. وحين عاد إلى الكهف حيث كان المردة، أخذ جذوةً من النار، وراح يعدو إلى الموضع حيث ترك أخويه، فوجدهما لا يزالان نائمين.

وسرعان ما أضرم النار من جديد، وبينما الشمس ترتفع أيقظ أخويه، فنهضا وواصل الثلاثة رحلتهم. وفي ذلك اليوم ذاته وصلوا إلى الدرب الذي يؤدي إلى المدينة. وفي تلك المدينة كان يعيش ملك جبّار، اعتاد أن يطوف الشوارع كلَّ صباح، منتحباً على الدمار العظيم الذي ألحقه المردة بشعبه. وكان يخشى كثيراً أن يأتي يوم يلتهم فيه أحد المردة ابنته أيضاً. وفي ذلك الصباح كان قد نهض باكراً ومضى يطوف المدينة، وكانت الشوارع خالية، لأنَّ المردة كانوا قد التهموا معظم أهل المدينة. وبينما هو يتمشّى، لاحظ شجرة صنوبر طويلة، اقتُلعَت من جذورها، وأُسْنِدَت إلى سور المدينة. فاقترب، ورأى العجب العجاب. كان تسعة من المردة، أعداء شعبه المرعبين، مستلقين هناك ورؤوسهم مقطوعة.

Twitter: @ketab_n

حين رأى الملك ذلك تملّكه فرحٌ غامر، وتحلّق كلُّ من بقي من الشعب وشكروا الله، ودعوا لمن قتل المردة بالصحة الجيدة والحظ الطيب. وفي تلك اللحظة جاء خادم راكضاً، وأخبر الملك أنَّ ثعباناً قد هاجم ابنته للتوّ. فعاد الملك مسرعاً إلى القصر، ومضى إلى الغرفة حيث ابنته، فرأى هناك الثعبان مثبّتاً إلى الجدار، وقد اخترم الخنجر رأسه. فحاول أن ينزع الخنجر، لكنه لم يستطع.

عندئذٍ أعلن الملك في أرجاء المملكة جميعاً أنَّ من قتل المردة التسعة وثبّت الثعبان إلى الجدار عليه أن يحضر إلى الملك، وسوف يعطيه أعطيات عظيمة ويزوّجه ابنته. أعلن المنادون ذلك في المملكة بأسرها. بل أمر الملك أيضاً بأن تُبنى خانات كبيرة على الطرق الرئيسة كلّها، فيُسْأَل كلُّ مسافرٍ يمرّ بها إن كان قد سمع بالرجل الذي قتل المردة التسعة، وكلُّ من يعلم أيّ شيء عن الأمر ينبغي أن يأتي ويخبر الملك بما يعلم، فيُكافأ أحسن المكافأة.

بعد فترةٍ جاء الإخوة الثلاثة، وهم في سفرهم بحثاً عن أخواتهم، ليبيتوا ليلةً في واحدٍ من تلك الخانات. وبعد العشاء جاء صاحب الخان ليكلمهم، وبعد أن تباهى كثيراً بأشياء عظيمة قام بها، سألهم إن كانوا بدورهم قد قاموا بأي شيءٍ عظيم.

فأخذ الأخ الأكبر يتكلم، وقال: «بعد أن انطلقت وأخويَّ

Twitter: @ketab_n

في هذه الرحلة، توقفنا ليلةً لننام عند بحيرة وسط غابة عظيمة، وبينما نام أخويّ رحتُ أحرس، وفجأةً خرج قاطور من البحيرة ليأكلنا، لكني شهرتُ سكيني وقطعت رأسه؛ وإن كنتم لا تصدّقون، انظروا! تلك أذناه اللتان نزعتهما عن رأسه!». وأخرج الأذنين من جيبه وألقاهما على الطاولة.

حين سمع الأخ الأوسط ذلك، قال: «أمّا أنا فكنت الحارس في الليلة التالية، وقتلت قاطوراً برأسين؛ وإن كنتم لا تصدّقون، انظروا! هذه آذانه الأربع!» وأخرج الآذان من جيبه وأراها لهم.

لكن الأخ الأصغر ظلّ صامتاً. فراح صاحب الخان يكلّمه، قائلاً: «حسناً، يا بني، أخواك شجاعان، دعنا نسمع إنْ لم تكن قد قمت بعملٍ جريء أنت أيضاً».

عندئذٍ بدأ الأخ الأصغر: «لقد فعلتُ شيئاً ما أنا أيضاً، مع أنه قد لا يكون بالشيء العظيم. فحين وقفنا لنرتاح على شاطئ البحيرة ليلتنا الثالثة في البريّة الشاسعة، اضطجع أخويَّ لينامَا، وكان دوري في الحراسة. وفي منتصف الليل هاجت المياه وماجت، وخرج قاطور بثلاثة رؤوس يريد التهامنا، لكني سحبت سيفي وقطعت رؤوسه الثلاثة جميعاً؛ وإن كنتم لا تصدقون، انظروا! ها هي آذانه الستة!». فاعترت أخويه دهشة

Twitter: @ketab_n

عظيمة، لكنه مضى يقول: «في تلك الأثناء، كانت النار قد خمدت، ومضيت أبحث عن نار. وبينما كنت أطوف حول الجبل التقيتُ تسعةً من المردة في كهف»؛ وتابع هكذا، حتى أخبرهم بجميع ما جرى وجميع ما فعله.

وحين سمع صاحب الخان ذلك أسرع إلى الملك وأخبره بكلّ شيء. فأعطاه الملك مالاً وفيراً، وأرسل بعضاً من رجاله كي يحضروا الإخوة الثلاثة بين يديه. وحين أتوا، سأل الملك الأخَ الأصغر: «هل فعلت حقّاً كلّ هذه العجائب في هذه المدينة: قتلت المردة وأنقذت ابنتي من الموت؟»، فأجاب ابن الملك: «أجل، جلالتك». فأعطاه الملك ابنته زوجةً، وبوّأهُ أوّل مرتبةٍ في المملكة من بعده. ثمّ قال للأخوين الآخرين: «إنْ شئتم وجدتُ لكما أيضاً زوجتين، وبنيت قصرين». لكنهما شكراه، قائلين إنهما متزوجان، وأخبراه كيف تركوا البيت بحثاً عن أخواتهم. وحين سمع الملك ذلك، لم يُبْقِ إلى جانبه سوى الأخ الأصغر، صهره، وأعطى كلاً من الآخرين بغلاً محمّلاً بأكياس مترعةٍ بالمال؛ فعاد الأخوان الأكبران إلى مملكتهما. غير أنّ الأخ الأصغر كان يفكر طيلة الوقت بأخواته الثلاث، وتمنّى في كثيرٍ من الأحيان أن يمضي باحثاً عنهن من جديد، على الرغم من الحزن الذي ستسببه

Twitter: @ketab_n

مفارقة زوجته. ولأنَّ الملك ما كان ليوافق قطّ على ذهابه، كان الأمير يذبل رويداً رويداً دون أن يفضي لأحدٍ بحزنه.

وذات يوم خرج الملك إلى الصيد والقنص، وقال لصهره: «إبقَ هنا في القصر، وخُذ هذه المفاتيح التسعة، واحرص عليها. وإذا ما رغبت يمكنك أن تفتح ثلاثاً أو أربعاً من الحجرات، حيث ستجد كثيراً من الذهب والفضة وسواها من الأشياء النفيسة. بل إنَّ بمقدورك أن تفتح ثمان من الحجرات، ولكن لا تترك لشيء في الدنيا أن يغريك بفتح التاسعة. فالويل لك إن فتحتها!».

مضى الملك، تاركاً صهره في القصر، فلم يلبث أن شرع بفتح الحجرات واحدةً إثر أخرى، إلى أن فتح الحجرات الثماني جميعاً، ورأى فيها أكواماً من شتى النفائس. وحين وقف أمام باب الحجرة التاسعة، قال لنفسه: «لقد خضْتُ بنجاحٍ مختلف المغامرات، وعليَّ الآن أن أخشى فتح هذه الحجرة!»، وسارع إلى فتحها. فما الذي رآه؟ كان في الغرفة رجلٌ، قدماه مغلولتان بالحديد إلى ركبتيه، وذراعاه إلى مرفقيه؛ وفي أركان الحجرة الأربعة كان ثمة أعمدة أربعة، خرجت من كلٍّ واحدٍ منها سلسلة حديدية، لتلتقي السلاسل جميعاً في حلقةٍ حول عنق الرجل. وبذلك كان قيد الرجل محكماً أشدّ الإحكام فلا يسعه

Twitter: @ketab_n

أن يأتي بحركة. وكان أمامه خزّان تتدفّق منه المياه عبر أنبوب من الذهب إلى حوضٍ ذهبيّ، أمامه مباشرةً. أما قربه فكان ثمة كوب من الذهب، مُرَصّع بالأحجار الكريمة. وكان الرجل يتطلّع إلى الماء ويتوق لأن يشرب، لكنه كان عاجزاً أن يتحرّك كي يبلغ الكوب. وحين رأى ابن الملك ذلك، دُهش كثيراً وتراجع إلى الخلف؛ لكن الرجل صرخ: «تعال، أستحلفك باسم الله الحيّ!». فدنا الأمير ثانيةً، وقال الرجل: «أَحْسِن لحياتك الأخرى، أعطني كوب ماء لأشرب، وثِقْ أنك ستنال، جزاءً مني، حياةً أخرى». فكّر ابن الملك: «جميل أن يحظى المرء بحياتين». وأخذ الكوب وملأه، وأعطاه الرجل، الذي تجرّعه على الفور. فسأله الأمير: «قُلْ لي الآن، ما اسمك؟»، فأجاب الرجل: «اسمي هو الفولاذ الأصلي». تململ ابن الملك يريد أن يذهب، لكن الرجل رجاه ثانيةً: «أعطني كوباً آخر من الماء، وسوف أعطيك أيضاً حياةً ثانيةً». فقال الأمير لنفسه: «لديّ حياةٌ أصلاً، وهو يقدّم لي أخرى، ذلك رائعٌ حقّاً!». ثمّ أخذ الكوب وقدّمه له فتجرّعه الرجل. وحين راح الأمير يُحكم إغلاق الباب، ناداه الرجل: «آه، أيها الشجاع، عُدْ للحظة! لقد أَحْسَنْتَ إليَّ مرّتين، فأَحْسِنْ إليَّ ثالثة، وسوف أَهبُكَ حياة ثالثةً. خذ الكوب، واملأه بالماء، وصبَّ الماء على

Twitter: @ketab_n

رأسي، وسف أهبك على ذلك حياة ثالثة». حين سمع ابن الملك ذلك، عاد، وملأ القدح بالماء وصبّه على رأس الرجل. وما أن مسّ الماء رأسه حتى كُسِر القيد حول عنقه، وانفكّت سلاسل الحديد. وهبّ الفولاذ الأصلي كالبرق، وفَرَد جناحيه، وطار، وأخذ معه ابنة الملك، زوجةَ مخلّصه، وغاب عن الأنظار. فما العمل الآن؟ كان الأمير خائفاً من غضبة الملك.

حين عاد الملك، أخبره صهره بكلّ ما جرى، فحزن الملك كثيراً وقال له: «لِمَ فعلتَ ذلك؟ قلتُ لكَ ألا تفتح الغرفة التاسعة!». فأجاب ابن الملك: «لا تغضب عليَّ! سأخرج لأجد الفولاذ الأصلي وأعيد زوجتي!». عندئذٍ حاول الملك أن يثنيه عن الخروج، وقال له: «لا تذهب، من أجل أيّ شيء في الدنيا! أنت لا تعرف الفولاذ الأصليّ. لقد كلّفني الإمساك جيشاً جراراً وثروة من المال! الأفضل أن تبقى هنا، وسأجد لكَ فتاة أخرى تتّخذها زوجةً؛ لا تخفْ، فأنا أحبك كأنك ولدي، على الرغم من كلّ ما جرى!». غير أنّ الأمير، ما كان ليبقى هناك، ولذلك أخذ بعض المال من أجل رحلته، وأسرج حصانه وألْجَمَه، وانطلق في أسفاره بحثاً عن الفولاذ الأصلي.

Twitter: @ketab_n

وبعد سفر طويل، دخل يوماً مدينةً غريبة، وبينما ينظر هنا وهناك، نادته فتاةٌ من كشك: «أنتَ، يا ابن الملك، ترجّل عن حصانك وادخل الفناء». وحين دخل الفناء لاقته الفتاة، وعندما نظر إليها عرف فيها أخته الكبرى. فسلَّم عليها وسلّمت عليه، وقالت له الفتاة: «تعال، يا أخي. تعال معي إلى الكشك».

وحين دخلا، سألها من يكون زوجها، فأجابت: «إنني زوجة ملك التنانين، الذي هو تنين أيضاً. عليَّ أن أخبّئك، يا أخي العزيز، لأن زوجي كثيراً ما قال إنه سيقتل شقيق زوجته ما إنْ يلتقيه. سوف أحاول معه أولاً، فإذا ما وعَدَني بألا يؤذيك، أقول إنك هنا».

هكذا خبّأت أخاها وحصانه بأحسن ما استطاعت. وفي المساء، سارعت إلى إعداد العشاء لزوجها، الذي جاء أخيراً. وحين قَدِم طائراً إلى الفناء، سطع القصر كلّه. وما أن دخل حتى نادى زوجته وقال: «يا زوجتي، أشمُّ رائحة إنسيّ! قولي لي في الحال ما هذا؟».

فقالت: «ما من أحدٍ هنا». لكنه صاح: «هذا ليس صحيحاً!»

فقالت زوجته: «يا عزيزي، هل تجيبني بصدق عمّا أسألك

Twitter: @ketab_n

إياه؟ هل ستؤذي أيّاً من أخوتي إذا ما جاء أحدهم إلى هنا كي يراني؟». فأجاب التنين: «سوف أقتل أخويك الأكبر والأوسط وأشويهما، لكنني لن أؤذي أخاك الأصغر». فقالت زوجته: «حسناً، إذاً، سأخبرك أنّ أخي الأصغر، شقيق زوجتك، هنا». حين سمع الملك التنين هذا، قال: «دعيه يدخل إليّ!»، فقادت الأخت أخاها إلى حضْرةِ الملك، زوجها، فعانقه، وقبّلا واحدهما الآخر، وصاح الملك: «على الرحب والسعة، يا شقيق زوجتي!» فردَّ الأمير مجاملاً: «عساك بخير؟» وروى للملك التنين مغامراته من البداية إلى النهاية.

فصرخ الملك التنين: «وإلى أين أنت ذاهب، أيها البائس؟ أول البارحة مرّ الفولاذ الأصليّ من هنا حاملاً زوجتك. وقد هاجمتهُ بسبعة آلاف تنين، لكني لم أسبب له أيّ أذى. دَعْ الشرّ نائماً؛ وسوف أعطيك من المال بقدر ما تشاء ثم تعود إلى وطنك آمناً مطمئناً». لكن ابن الملك ما كان ليعود أدراجه، وقال في الصباح التالي إنه سيواصل رحلته. وحين رأى الملك التنين أنّه غير قادر على أن يثنيه عن عزمه، أخذ ريشة منه، وأعطاه إياها، قائلاً: «تذكّر ما أقوله لك الآن. هذه ريشة مني، فإذا ما وجدت الفولاذ الأصلي وكنت في ضيقٍ شديد، أحرق

Twitter: @ketab_n

هذه الريشة، وسوف آتي في الحال لنجدتك بكلّ قواي».
فأخذ ابن الملك الريشة وواصل رحلته.

وبعد ترحال طويل في أرجاء الدنيا وصل مدينةً عظيمةً، وبينما كان يطوف الشوارع ممتطياً حصانه، نادته فتاة من كشك: «يا ابن الملك! ترجّل وادخل الفناء!». وحين قاد الأمير حصانه إلى الفناء جاءت الأخت الوسطى لتلاقيه. فتعانقا وقبّل أحدهما الآخر، وقادت الأختُ الأخَ إلى الكشك، وبعثت بحصانه إلى الإصطبل. وحين باتا في الكشك، سألت الأخت أخاها كيف جاء إلى هناك، فأخبرها بمغامراته جميعاً. ثم سألها من يكون زوجها. فقالت: «إنني زوجة ملك الصقور، وسوف يعود إلى البيت الليلة، وعليّ أن أخبئك في مكانٍ ما، لأنّه كثيراً ما يطلق تهديداتٍ لأخوتي».

وبعد فترةٍ قصيرة من إخفاء أخيها، عاد الملك الصقر إلى البيت. وما إن حطّ حتى اهتزّ البيت كلّه. وسرعان ما وُضِعَ عشاؤه أمامه، لكنه قال لزوجته: «أشمّ رائحة إنسيّ!». فأجابت الزوجة: «لا، يا زوجي، ليس ثمة أحد»؛ وبعد حديث طويل، سألَتْهُ: «أكُنْتَ لتؤذي إخوتي لو أتوا يرونني؟». فأجاب الملك الصقر: «إنّه ليسرّني أن أسوم الأكبر والأوسط صنوف العذاب،

Twitter: @ketab_n

أما الأصغر فما كنت لأؤذيه». فأخبرته بأمر أخيها، وأمر بأن يُحْضَر في الحال؛ وحين رآه، نهض وتعانقا وقبّل واحدهما الآخر، وقال ملك الصقور: «على الرحب والسعة، يا شقيق زوجتي!»، فردَّ الأمير: «عساك سعيداً، أيها الأخ؟». ثمّ جلسا إلى العشاء معاً. وبعد العشاء سأل الملك الصقر شقيق زوجته عن وجهة سفره. فردّ أنه ماضٍ للبحث عن الفولاذ الأصلي، وقصّ على الملك كلّ ما جرى.

لدى سماع ذلك راح الملك الصقر ينصحه بأن يتوقّف، وقال: «لا فائدة من المتابعة. سأقول لك شيئاً عن الفولاذ الأصلي. يوم سرق زوجتك، هاجمته بأربعة آلاف صقر. خضنا معه معركة رهيبة، وصل فيها الدم إلى الرّكب، ولم نَطُل منه شعرة! فهل تعتقد أنّ بمقدورك وحدك أن تفعل شيئاً؟ أنصحك بأن تعود إلى بيتك. ها هو كنزي: خذ منه ما تشاء». لكنَّ ابن الملك أجاب: «أشكرك على كلّ هذا اللطف، لكنني لا أستطيع العودة. عليَّ أن أبحث عن الفولاذ الأصلي مهما يكن الأمر!». ذلك أنّه فكّر في نفسه: «لماذا لا أذهب، مادامت لديّ حيوات ثلاث؟». وحين رأى الملك الصقر أنه لا يقوى على إقناعه بالرجوع، أخذ ريشةً صغيرة وأعطاه إياها، قائلاً: «خُذ هذه الريشة، وحين تجد نفسك

Twitter: @ketab_n

في حاجةٍ شديدة، أحرقها وسوف آتي في الحال لأساعدك بكلّ قواي!». فأخذ ابن الملك الريشة وواصل رحلته، آملاً أن يجد الفولاذ الأصلي.

وبعد ترحال طويل في أرجاء الدنيا وصل مدينةً ثالثة. وحين دخلها، نادته فتاة من كشك: «ترجّل، وتعال إلى الفناء». فمضى ابن الملك إلى الفناء، ودُهِشَ لرؤيته أخته الصغرى، التي خرجت للقائه. وحين تعانقا وقبّلا واحدهما الآخر، قادت الأخت أخاها إلى الكشك، وبعثت بحصانه إلى الإصطبلات. وسألها الأخ: «أختي العزيزة، من تزوجتِ؟ من زوجك؟». فأجابت: «زوجي ملك النسور». وحين عاد الملك النسر إلى البيت في العشيّة استقبلته زوجته، لكنه صاح مباشرةً: «من الأنسيّ الذي دخل قصري! أصدقيني القول في الحال!». فأجابت: «ما من أحد هنا»؛ وراحا يتناولان العشاء. وبعد قليل قالت الزوجة: «أَجِبْني بصدق: أَكُنْتَ لتؤذي إخوتي إنْ أتوا إلى هنا؟»، فأجاب الملك النسر: «كنت لأقتل الأكبر والأوسط، أمّا الأصغر فما كنت لأؤذيه! وكنت لأساعده ما استطعت!».

فقالت الزوجة: «أخي الأصغر هنا؛ أتى ليراني». فأمر الملك النسر بأن يُحْضَر الأمير في الحال، ونهض لاستقباله، وقبّله،

Twitter: @ketab_n

وقال: «على الرحب والسعة يا شقيق زوجتي!». وأجاب ابن الملك: «عساك بخير!»، ثم جلسا إلى العشاء. وأثناء الطعام تحدّثا عن أشياء كثيرة، وفي النهاية أخبر الأمير الملكَ أنه مسافرٌ بحثاً عن الفولاذ الأصلي. وحين سمع الملك النسر ذلك، حاول أن يثنيه عن المتابعة، وأضاف: «دع الشرّ نائماً يا شقيق زوجتي؛ دعك من السفر وابقَ معي! سوف أفعل كلّ ما يرضيك!». غير أنّ ابن الملك ما كان ليبقى، وما أن بزغ فجر اليوم التالي حتى أعدّ للانطلاق بحثاً عن الفولاذ الأصلي. وحين رأى الملك النسر أنّه عاجز عن إقناعه بالتخلّي عن سفره، انتزع واحدةً من ريشاته وأعطاه إيّاها، قائلاً: «لو وجدت نفسك في خطر شديد، يا أخي، أَشْعِل ناراً واحرق هذه الريشة فآتي إليك في الحال ومعي نسوري جميعاً». فأخذ الأمير الريشة ومضى في سبيله.

وبعد سفر طويل في أرجاء الدنيا، متنقلاً من مدينة إلى أخرى، مبتعداً عن وطنه مزيداً من الابتعاد في كلّ مرّة، وجد زوجته في كهف.

وحين رأته زوجته اعترتها الدهشة، وصاحت: «باسم الله، يا زوجي، كيف أتيت إلى هنا؟». فأخبرها بكلّ ما جرى، ثم أضاف: «دعينا نهرب الآن!». فسألته: «كيف يمكن أن نهرب إذا ما كان

Twitter: @ketab_n

الفولاذ الأصلي سيلحق بنا على الفور؟ وعندها سوف يقتلك، ويعيدني». لكن الأمير، الذي كان يدرك أنّ لديه ثلاث حيوات أخرى يحياها، أقنع زوجته بالهروب، وهربا. غير أنهما ما إن انطلقا حتى سمع الفولاذ الأصلي وسعى خلفهما في الحال. وحين بلغهما، صاح بابن الملك: «لقد سرقتَ زوجتكَ، إذاً، أيها الأمير!». وأضاف، بعد أن استعاد الزوجة: «ها أنا أسامحك بهذه الحياة، فقد تذكرت أنني وعدت بأن أهبك حيوات ثلاث، ولكن فلتذهب رأساً، ولا تَعُدْ إلى هنا وراء زوجتك، وإلاّ ضعت». وحين قال هذا، حمل الزوجة ومضى، وبقي الأمير وحده في تلك البقعة، لا يعلم ما يفعل.

أخيراً، قرّ قرار الأمير على أن يعود إلى زوجته. وحين اقترب من الكهف وَجَدَ فرصةً حين كان الفولاذ الأصلي غائباً، وأخذ زوجته ثانيةً وحاول أن يفرّ بها.

لكن الفولاذ الأصلي علم بفرارهما في الحال، وسعى خلفهما. وحين وصل إليهما، وضع سهماً في قوسه، وصاح بابن الملك: «أتفضّل أن تموت بالسهم، أم بالسيف؟» فطلب ابن الملك الصّفح، وقال الفولاذ الأصلي: «أَصْفَح عنك للمرة الثانية، لكني أحذّرك! لا تَعُد إلى هنا وراء زوجتك، لأنني لن أصفح عنك بعد الآن! وسوف أقتلك في الحال!». وحين قال هذا، حمل الزوجة وعاد بها إلى

Twitter: @ketab_n

الكهف، وبقي الأمير يفكّر طيلة الوقت كيف يمكن أن ينقذها.

وفي النهاية قال لنفسه: «لِمَ أخشى الفولاذ الأصلي، ما دامت لا تزال لديّ حياتان، تلك التي وهبها لي، والأخرى التي لي؟». فقرر أن يعود إلى الكهف في الغد، حين يكون الفولاذ الأصلي غائباً. وحين رأى زوجته، قال لها: «دعينا نهرب!» فاعترضت، قائلةً: «لا فائدة من الهرب، فلاشك أنَّ الفولاذ الأصلي سوف يلحق بنا». غير أن زوجها أجبرها على المضيّ معه، فذهبا. لكن الفولاذ الأصلي سرعان ما أدركهما، صائحاً: «انتظر لحظةً! هذه المرة لن أصفح عنك!»، فخاف الأمير، ورجاه أن يصفح عنه هذه المرة أيضاً، فقال له الفولاذ الأصلي: «تعلم أنني وعدتك بأن أهبك حيوات ثلاث، ولذلك أهبك الآن هذه الحياة، لكنها الثالثة والأخيرة، فلا تخاطر بخسارة الحياة التي وهبك الله!».

وإذْ رأى الأمير أنّه عاجز إزاء هذه القوة العاتية، راح يفكر طيلة الوقت بأفضل طريقة لاستعادة زوجته من الفولاذ الأصلي.

وتذكّر، أخيراً، ما قاله له أصهاره حين أعطوه ريشاتهم. فقال لنفسه: «سوف أحاول للمرة الرابعة أن أستعيد زوجتي، وإذا ما كنتُ في ضيق، أحرق الريشات، وأرى إن كان أصهاري سيهبّون لنجدتي».

Twitter: @ketab_n

عندئذ عاد من جديد إلى الكهف حيث زوجته، وحين رأى من بعيد أن الفولاذ الأصلي قد غادر الكهف للتوّ، اقترب وظَهَرَ لزوجته التي دُهِشَت وفزعت، وصاحت: «هل سئمت حياتك لتعود ثانيةً إليَّ؟». فأخبرها بأمر أصهاره وكيف أعطاه كلٌّ واحد منهم ريشةً، ووعده بأن يأتي لنجدته حين يحتاج إلى العون. وأضاف: «لذلك عدتُ من جديدٍ لآخذك، فدعينا نذهب في الحال».

فذهبا. غير أنّ الفولاذ الأصلي علم بذلك في التوّ واللحظة، وصرخ من بعيد: «قف، أيها الأمير! لا يسعك أن تهرب!»، وحين رأى ابن الملك الفولاذ الأصلي بقربه، سارع إلى أخذ حجر القَدْح وعلبة القدح، وأطلق بعض الشرارات، وحرق الريشات الثلاث جميعاً. غير أنّ الفولاذ الأصلي وصل إليه وهو يفعل ذلك، فشطره بسيفه نصفين. وفي تلك اللحظة جاء ملك التنانين مسرعاً بكلّ جيشه من التنانين، وملك الصقور بكلّ صقوره، وملك النسور بحشده الغفير من النسور، وراح الجميع يهاجمون الفولاذ الأصلي. وأريقت سيول من الدماء، لكن الفولاذ الأصلي تمكّن في النهاية من خطف المرأة والفرار.

عندها أَوْلَى الملوك الثلاثة اهتمامهم كلّه إلى شقيق زوجاتهم، وقرروا أن يعيدوا إليه الحياة. ولذلك سألوا ثلاثةً من أنشط التنانين مَن منهم يستطيع أن يُحضِر، في أسرع وقت، بعض الماء من نهر الأردن.

Twitter: @ketab_n

فقال أحدهم: «أستطيع أن أحضره في نصف ساعة». وقال الثاني: «يمكنني أن أذهب وأعود في عشرة دقائق». أما التنين الثالث فقال: «يمكنني أن آتي به في تسع ثوان». فقال الملوك الثلاثة للتنين الأخير: «امضِ، أيها التنين، بسرعة!»، فأظهر هذا التنين كلّ جبروته الهائل، وفي تسع ثوان، كما وعد، عاد بالماء من نهر الأردن.

أخذ الملوك الماء وصبّوه على جرح الأمير، فالتأم الجرح، والتصق الجسد، ووثب ابن الملك حيّاً.

عندئذ أشار عليه الملوك الثلاثة: «والآن، ما دمتُ قد نجوت من الموت، عُدْ إلى بيتك!»، لكن الأمير أجابهم أنه سيحاول استعادة زوجته مرّة أخرى مهما يكن الأمر. فقال الملوك، أصهاره، ثانيةً: «لا تحاول مرّة أخرى! ستضيع حقاً لو فعلت، لم يعد لديك سوى الحياة التي وهبها الله!».

غير أنَّ ابن الملك ما كان ليصغي إلى النصيحة. فقال له الملوك: «حسنٌ، إذاً، إنْ كنتَ مصمماً على الذهاب، على الأقل لا تأخذ زوجتك على الفور، بل قل لها أن تسأل الفولاذ الأصلي عن مكمن قوته، ثم تعال وأخبرنا، عسانا نعينك في التغلّب عليه!».

هكذا مضى الأمير خفيةً ورأى زوجته، وعلّمها كيف تقنع الفولاذ الأصلي بأن يخبرها بمكمن قوته. ثم تركها ومضى.

Twitter: @ketab_n

وحين عاد الفولاذ الأصلي إلى البيت، سألته زوجة ابن الملك: «قُلْ لي، الآن، أين قوتك العظيمة؟». فأجابها: «يا زوجتي، إنّ قوتي في سيفي!» فبدأت تصلّي، والتفتت إلى سيفه. وحين رأى الفولاذ الأصلي ذلك، انفجر ضاحكاً، وقال: «يا لك من غبية! قوتي ليست في سيفي، بل في قوسي وسهامي!». فالتفتت إلى القوس والسهام وصلّت.

فقال الفولاذ الأصلي: «أرى، يا زوجتي، أنّ معلّماً فَطِناً قد علّمك أن تجدي أين تكمن قوتي! وأكاد أقول إنّ زوجك حيّ، وإنّه هو الذي علّمك!».

لكنها أكّدت له أنّ ما من أحد قد علّمها، لأنّه لم يَعُد لديها من يفعل ذلك.

وبعد بضعة أيام عاد زوجها، وحين أخبرته أنها لم تستطع أن تعلم شيئاً من الفولاذ الأصلي، قال: «حاولي ثانيةً!» ومضى.

وحين عاد الفولاذ الأصلي إلى البيت راحت تسأله من جديد عن سرّ قوّته. فأجابها: «ما دمت تفكرين إلى هذا الحدّ بقوتي، فسوف أقول لك صادقاً أين تكمن. بعيداً جداً عن هذا المكان ثمة جبلٌ شاهق؛ وفي ذلك الجبل ثمة ثعلب، وفي هذا الثعلب قلب، وفي القلب

Twitter: @ketab_n

عصفور، وفي ذلك العصفور تكمن قوتي. وليس من السهل الإمساك بذاك الثعلب، لأن بمقدوره أن يتحول إلى مخلوقات عديدة».

وفي اليوم التالي، ما إن غادر الفولاذ الأصلي الكهف حتى جاء ابن الملك إلى زوجته، فأخبرته بكلّ ما علّمته. فأسرع الأمير إلى أصهاره، الذين كانوا ينتظرونه على أحرّ من الجمر، ليروه ويسمعوا أين مكمن قوة الفولاذ الأصلي. وحين سمعوا، مضوا ثلاثتهم في الحال ومعهم الأمير كي يجدوا الجبل. وحين وصلوا إلى هناك، أطلقوا النسور تصطاد الثعلب، لكن الثعلب جرى إلى البحيرة، التي كانت في وسط الجبل، وتحول إلى طائر ذهبي بستّة أجنحة. فطاردته الصقور، وأخرجته من البحيرة، ليطير صوب السحب، لكن التنانين أسرعت في أعقابه. وعندئذ تحول إلى ثعلب من جديد، لكن التنانين أسرعت في أعقابه. وعندئذ تحول إلى ثعلب من جديد، وراح يعدو في الأرض، لكن بقية النسور أوقفته، وحاصرته، وأمسكت به.

أمر الملوك الثلاثة عندئذ بأن يُقْتَل الثعلب، ويؤخذ قلبه. وأُضرِمَت نار عظيمة، وأُخْرِج العصفور وأُحْرِق فخرّ الفولاذ الأصلي صريعاً في تلك اللحظة ذاتها، وأخذ الأمير زوجته وعاد بها إلى البيت.

Twitter: @ketab_n

# الراعي والأميرة

في قديم الزمان عاشت امرأة فقيرة لم تكن تملك شيئاً في الدنيا سوى ابن وحيد وأربعة حملان. وكان الصبي يأخذ الحملان كلّ صباح لترعى، ثم يعود بها في المساء. وجرى في يوم أنّ الحملان كانت ترعى في حقلٍ غير بعيدٍ عن قصر الملك الصيفي، وخرجت ابنة الملك إلى الراعي الشاب وطلبت منه واحداً منها. فرفض الصبي، قائلاً: «لا أستطيع أن أعطيك واحداً، لأنّ والدتي ستوبخّني إنْ فعلت، فنحن لا نملك في الدنيا سوى هذه الحملان الأربعة». غير أنّ الأميرة كانت ترغب في حَمَلٍ تلك الرغبة الشديدة التي لا تحتمل الرفض، وقالت في نهاية الأمر: «أَعْطِني هذا الحمل وسأدفع لك الثمن الذي تطلبه».

وإذْ رأى الصبي أنَّ الأميرة لن تذهب من غير حَمَل، راح يفكر كيف يمكنه أن يتخلّص منها، ثم قال لها إنه سيعطيها واحداً من الحملان إذا ما أَرَتْه أحد كتفيها. فدُهشَت الأميرة لذلك. لكنها، دون أدنى تردد، أزاحت عباءتها وأَرَتْهُ ذراعها الأبيض

Twitter: @ketab_n

العاري، فلاحظ أنّ على كتفها وَحْمَةً تشبه نجمةً. واضطر عندئذ أن يعطيها واحداً من حملانه، وحين عاد إلى البيت في المساء قال لوالدته إنَّ النعاس قد غلبه في الظهيرة، ولما أفاق، كان واحد من الحملان قد اختفى، و لم يجده في أيّ مكان.

راحت الأمّ توبّخ ابنها توبيخاً شديداً، وقالت: «أرى أنّك ستدفع بي إلى التسوّل بعدم اكتراثك! غداً باكراً جداً تخرج هذه الحملان الثلاثة إلى المرعى، وتبحث جيداً عن الحمل الضائع. وإنْ لم تجده فمن الأفضل ألاّ تجعل عينيّ تقعان عليك ثانيةً».

وفي فجر اليوم التالي أخذ الصبي الحملان الثلاثة لترعى في الحقل ذاته، وجلس يفكّر كيف يمكنه استعادة الحَمَل الذي فقده.

وعند الظهيرة، حين كان الجميع في قيلولة، خرجت ابنة الملك من القصر وقالت له: «أيها الراعي الشاب، أعطني حَمَلاً آخر. واطلب ما تريد إزاءه». لكن الصبي أجابها: «لا! لا أجرؤ أن أعطيك حملاً آخر؛ لقد عانيت ما يكفي من أجل الحَمَل الذي أعطيتك إياه البارحة! اذهبي أرجوك وأعيدي إليّ حملي».

لكن الأميرة رفضت أن تفعل، وقالت: «لا جدوى من الكلام في هذا الأمر. ولكن قُلْ لي، هل لاحظت أيّ شيء معين على كتفي؟».

Twitter: @ketab_n

فأجاب الشاب: «أجل، رأيتُ نجمةً!».

فصرخت الأميرة: «آه! لن يمكنك قطّ أن تدفع لي ما يكفي لقاء ذلك، وتريد إعادة حملك!». وهكذا كاد النزاع أن ينشب بينهما، وابنة الملك تلحُّ في توسلها إليه أن يعطيها حملاً آخر، والراعي الشاب يصرّ على أن تعيد إليه الحمل الأول.

وفي النهاية، إذ رأى الفتى أنّ ما من نهاية لتوسّلها، قال: «حسناً! سوف أعطيكِ واحداً إن كَشَفْتِ لي عن كتفكِ الأخرى». ففعلت الأميرة في الحال، ولاحظ الراعي أنّ وحمة النجمة موجودة على هذه الذراع أيضاً. وهكذا خسر حَمَلاً آخر، وحين حلّ المساء مضى إلى البيت حزيناً، واثقاً من أنّ والدته ستقرّعه. وهذا ما فَعَلَتْهُ، على نحوٍ يفوق المرّة الأولى، مطلقةً عليه أسوأ النعوت ومهدِّدَةً إيّاه بالضرب. أما الصبي فقد أَسِفَ حقّاً أنّه أفسح المجال لتوسّلات الأميرة، لكن الأمر كان قد تمّ وانتهى.

وفي الغد، خرجت الأميرة إليه مجدداً ورجته أشدّ الرجاء وأطوله أن يعطيها حملاً ثالثاً لدرجة أنّ صبره قد عيل، وقال لها، وهو يحسب أنها ستخجل، إنه سيعطيها واحداً إذا ما أرته عنقها. لكن ما أدهشه هو أنّ ابنة الملك أسقطت عباءتها في الحال، ليرى وحمة الهلال على عنقها عند الحَلْق، وبذلك فقد الصبي البائس

Twitter: @ketab_n

حَمَلاً ثالثاً، و لم يكد يجرؤ على العودة مساءً إلى والدته وليس معه سوى حمل واحد. والحال أن العجوز البائسة قد حنقت كثيراً لعدم اكتراث ولدها وفقدانه حَمَلاً بعد الآخر أثناء نومه –فهو لم يجرؤ على إخبارها بأمر الأميرة– ووصفته بأنّه «ذاك الذي لا يصلح لشيء والذي سيودي بها إلى التسوّل». غير أنَّ الفتى لم يستطع، على الرغم من كلّ هذا التقريع، أن يرفض طلب الأميرة في اليوم التالي حين خرجت تطلب الحمل الرابع. وعلى الرغم من محاولته الدءوبة أن يتخلّص منها، إلا أنه لم يلبث أَنْ ملَّ من توسّلاتها، وصاح: «حسناً، سوف أعطيكِ الحمل إذا ما أريتني صدرك!». فخلعت الأميرة ثوبها، ولاحظ الفتى أنَّ على ثديها وحمة شمس.

هكذا فقد الراعي الشاب الحملان الأربعة، وعاش ووالدته في ضَنكٍ مديد.

وبعد ذلك بزمن طويل أعلن الملك عن نيته تزويج ابنته، وأنّه سيعطيها لمن يعرف ما تحمله من علامات منذ ولادتها. سمع الراعي الشاب هذا الإعلان، وحين عاد إلى البيت مساءً قال لوالدته: «أمّاه، أنوي الذهاب إلى قصر الملك في الغد، فأعدّي لي أفضل ثوب لديّ».

Twitter: @ketab_n

فسألت العجوز الفقيرة متعّجبةً: «وما الذي تريده في قصر الملك؟».

فأجاب الشاب بجرأةٍ: «أنوي، بعونٍ من الله، أن أتزوج من ابنة الملك».

عندئذ صاحت الأم: «آه! أَفْضَلُ لك أن تتخلّى عن هذا الوهم. أَفْضَلٌ لكَ أن تمضي لتعمل وتكسب قِرْشَاً بدلاً من أن تحلم، مثل ذبابة بلا رأس، بأشياء بعيدة المنال بعد السماء عن الأرض».

غير أنَّ الفتى ما كان ليقتنع، ومضى في اليوم التالي إلى قصر الملك. لكنه قبل أن يخرج من الكوخ، قال لوالدته العجوز: «وداعاً يا أمي».

و لم يَسِرْ طويلاً حتى التقاه غجري، وسأله: «أين تذهب، أيها الفتى؟».

فأجابه: «أَذْهَبُ إلى قصر الملك، عازماً، بعون من الله، على أن أتزوج من ابنة الملك».

فقال الغجري، وهو بقربه: «ولكن، يا رفيقي العزيز، كيف يمكنك أن تتوقّع أنها ستتزوجك، وأنت مجرد راعٍ فقير!».

Twitter: @ketab_n

فأجاب الفتى: «آه! لكني أعرف ما لديها من وحمات منذ الولادة، وقد أعلن الملك أنّ كل من يحرز هذه الوحمات يحظى بها زوجة له».

فردّ الغجري الداهية: «إنْ كان الأمر كذلك، فسأذهب معك إلى القصر أنا أيضاً».

سُرَّ الفتى لرفيق الطريق هذا، وانطلق والغجري معاً إلى أن وصلا مقرّ إقامة الملك.

وحين بلغا القصر وجدا حشداً كبيراً من الذين أتوا «يجرّبون حظّهم» في تخمين ما لدى الأميرة من وحمات الولادة. لكن ذلك كان مضيعةً للوقت، لأنّ كلاً منهم كان يعود صفر اليدين، بعد أن يمرّ بالملك ويحزر «كيفما اتُّفق» وحمات الأميرة. وفي النهاية جاء دور الراعي الشاب أن يمرّ بالملك، والغجري بقربه ليسمع ما سيقول.

هكذا تقدّم الفتى من الملك وقال: «لدى الأميرة نجمة على كلّ كتف من كتفيها، وهلال على عنقها».

وهنا صرخ الغجري: «انظروا. هذا ما كنتُ سأقوله!».

فقال الراعي الشاب: «اهدأ! وإلا فَلْتَقُل، إن كنت تعلم، ما الوحمات الأخرى لديها».

Twitter: @ketab_n

صاح الغجريّ: «لا، لا! تابع، تابع! وحين تنتهي، سأقول ما أعلم!».

عندئذٍ التفت الفتى ثانيةً إلى الملك وقال: «لدى الأميرة وحمة شمسٍ على ثديها».

«ذلك تحديداً ما كنت سأقوله!» صرخ الغجري، وهو يتقدم مسرعاً؛ «إنَّ لديها وحمة شمس على صدرها».

اعترت الملك عندئذٍ دهشةٌ عظيمة، واعترف لمستشاريه بأنَّ الراعي الشاب قد حَزَر الحقيقة بالفعل. غير أنَّ الملك ومستشاريه ما كانوا ليطيقوا فكرة زواج الأميرة من راعٍ فقير، ولذلك راحوا يتشاورون كيف يمكنهم أن يتخلصوا منه دونَ أن يُتَّهَم إعلان الملك بأنه إعلان كاذب. وتقرّر في النهاية أن يقول جلالته: «ما دام كلٌّ من الراعي والغجري قد حزرا وحمات مولد الأميرة، فلا يمكنني أن أحسم بِعَدْلٍ أيّهما ينبغي أن يتزوج منها. لكنني سأعطي كلاً منهما سبعين قرشاً. وعلى كلٍّ منهما أن يذهب ويتاجر بهذا المال سنةً. وفي نهاية السنة، من يعود بمالٍ أوفر يحظى بالأميرة زوجةً له».

ومضى الراعي والغجري، بعد أن أخذا المال، كلٌّ في اتجاه يلتمسان حظوظهما.

وبعد سفرٍ لبعض الوقت، مثل ذبابة بلا رأس، لا يعرف أين،

Twitter: @ketab_n

توقّف الراعي ذات ليلة ليرتاح في كوخ امرأة عجوز، كانت تفوق أمّه عوزاً وفاقةً.

وبينما هو جالس مع العجوز في الكوخ ذلك المساء، فكّر الفتى أن يسألها النُّصح بشأن الطريقة المثلى في تثمير رأس ماله المكوّن من سبعين قرشاً، فقال: «لديّ سبعين قرشاً أتاجر بها، هلاّ أشَرتُ عليَّ بطريقةٍ جيدةٍ أستخدمها بها وأربح؟».

فكّرت العجوز بالأمر بعض الوقت قبل أن تجيب، ثم قالت: «غداً يوم انعقاد السوق في المدينة المجاورة، اذهب إلى هناك، وحين يجلب رجلٌ بقرة عجفاء للبيع، تقدّم وحاول أن تشتريها. تلك البقرة ملوّنة بألوان مختلفة، لكنها نحيلة وجائعة؛ غير أنّ عليك شراؤها مهما كان الثمن الذي يطلبه الرجل. وحين تشتريها، أحضرها إلى هنا في الحال».

وافق الفتى على أن يعمل بحسب مشورة العجوز، فذهب في اليوم التالي إلى المدينة حيث وجد هنالك، بالفعل، رجلاً أحْضَر بقرةً عجفاء، لكنها متعددة الألوان، ليبيعها. ولقد رغب كثيرون في أن يشتروا البقرة، لكن الفتى عَرَض ثمناً أزْيَدَ منهم جميعاً، وفي النهاية قدّم قروشه السبعين جميعاً. وبذلك حَظِيَ بالبقرة، وساقها إلى الكوخ حيث قضى الليل. وحين خرجت العجوز

Twitter: @ketab_n

لترى من القادم، صاح: «ها أنا قد اشتريت البقرة، يا أماه، فما الذي سنفعله بها؟ لقد كلّفتني مالي كلّه!».

فأجابت العجوز حالاً: «اقتل البقرة، يا ولدي، واقطعها قِطعاً».

«ولكن كيف سيعيد ذلك مالي مع الربح؟» سأل الراعي الشاب، متردداً هل يعمل وفق نصيحتها أم لا.

«لا تخف، يا ولدي، واعمل ما أقول»، ردّت العجوز. ففعل كما أشارت عليه، وذبح البقرة وقطعها قطَعاً. ثم سأل ثانيةً: «والآن، ماذا أفعل؟»، فقالت العجوز بهدوء: «الآن سنأكل اللحم، أمّا الشحم فسوف نذيبه ونضعه في قدر لمناسبةٍ أخرى».

لم يَرُق هذا الاقتراح للراعي البتّة، لأنه لم يستطع أن يتبيّن العائد الذي يمكن أن يجنيه من استثمار ماله على هذا النحو. غير أنّه فكّر في نفسه: «حسناً، ما دمت من الغباء بما يكفي لاتّباع مشورتها في المرتين السابقتين، فلعلّي أتبعها في هذه المرة الثالثة أيضاً». وهكذا بقي مع العجوز أياماً عديدة، إلى أن التهما آخر قطعة لحم. لكنه حين استرجع كلّ ما حصل، حزن كثيراً، وإذْ لم يجد أي علامة على ما هو أفضل، قال للعجوز ذات صباح معاتباً: «ها أنت ترين كيف بددتُ مال الملك كلّه باتباع مشورتك، وبتُّ مفلساً!».

Twitter: @ketab_n

فقالت العجوز: «لا تخف يا ولدي. يمكنك الآن أن تأخذ قِدْر الشحم معك وتمضي إلى العالم الأسود، حيث البشر جميعاً سودٌ كرأس المدخنة، وهناك يمكنك أن تبيع الشحم مقابل مالٍ وافر، لأن لهذا الشحم القدرة على جَعْل البشرة بيضاء».

سُرَّ الراعي البائس كثيراً لسماع ذلك، وفي الصباح حمل قِدْر الشحم على كتفه وانطلق في رحلته. وبعد سفر أيام، وصل إلى بلد غريب المظهر، وحين تقدّم أكثر رأى رجلاً أسود تماماً، كما قالت العجوز، مثل رأس المدخنة. وفي الحال عرض عليه أن يبيعه قليلاً من الدهن، لكن الرجل الأسود خاف من مرأى رجل أبيض، فجرى هارباً. وكذا فعل كثير من السود الذين رأوه، غير أنّهم لاحظوا، بعد فترة، أنّه يمضي في سبيله بهدوء حاملاً قدره على كتفه، فتشجّعوا، واقتربوا منه واحداً تلو الآخر، إلى أن اجتمع حوله حشدٌ غفير تماماً. وفي النهاية، غامر أحدهم بالقول له: «أيها الرجل غريب المظهر، قل لنا من أنت، ومن أين، ولماذا أتيت إلى هنا؟». فأجاب الراعي: «أنا رجل أبيض من عالم أبيض، وقد جئت أجلب لكم بعض الدهن الذي سيجعلكم بيضاً بدوركم. ذلك، بالطبع، إن شئتم أن تشتروه مني وتدفعوا إزاءه ثمناً جيداً».

Twitter: @ketab_n

راح السود يفكرون، على الرغم من صدمتهم الشديدة في البداية، أنهم يودّون أيضاً أن يكونوا بيضاً، فقالوا إنهم مستعدون لأن يدفعوا ما يريد مقابل دهنه العجيب، لأنهم أثرياء جداً.

بيد أنّهم تشككوا قليلاً فيما إذا كان الدهن كما قال، ورغبوا في أن يُجَرَّب قبل أن يشتروه. فوضع الراعي الشاب القدر على الأرض، وراح يدور حولها، وهو يتفوّه بكلماتٍ غريبة كأنه يمارس سحراً. ثم أخذ من القدر قليلاً من الدهن، و مَسَحَ بها واحداً من السود. وفي لحظةٍ غدت البشرة السوداء بيضاء تماماً، فاحتشد السود الآخرون حوله متحمسين، وقد رأوا أنه قد أصدقهم القول، راجين أن يجعلهم بيضاً بدورهم، وكلٌّ منهم يعرض ثمناً أزيد مما عرضه الآخرون، شريطة أن يجعلهم بيضاً بأسرع ما يمكنه. أما الراعي الشاب فقد بذل أقصى الجهد، ماسحاً بشرةً سوداء بعد أخرى، إلى أن أعياه التعب وأصبح فائق الثراء، نظراً للمال الوافر الذي أعطوه إيّاه، ولكثرة عدد الذين كانوا يرغبون في أن يغدوا بيضاً.

و لم يكد ينتهي من تبييض آخر أسود حوله حتى قال واحد منهم: «أيها الرجل العجيب الأفعال! إنّ لنا ملكاً هو زعيمنا لأنه الأشدّ سواداً منا؛ فإذا ما كان بمقدورك أن تجعله أبيض هو أيضاً،

Twitter: @ketab_n

فلاشكَّ في أنه سيُسَرُّ كثيراً لتخلّصه من سواده، وسيدفع لك من المال ما لم تحلم به قطّ».

أجاب الراعي: «سأفعل بكل سرور، لأن عليكم أن تعلموا أنني لا أفعل ذلك من أجل المال بقدر ما أفعله برّاً وصَدَقَةً، دلّوني، فقط، من أين الطريق إلى ملككم».

فَهُرِعَ الجميع أمامه يُرونه الطريق، وسار هو خلفهم حاملاً قدره على كتفه.

وحين وصلوا إلى باب قصر الملك، قال أحدهم: «انتظر هنا لحظةً، بينما أذهب وأُخْبِر جلالته بأمر دهنك العجيب، وأطلب منه أن يستقبلك». فانتظر الراعي بهدوء، مع أنَّ الحشود كانت حوله تحدّق فيه وفي قِدْره العظيمة، إلى أن عاد الرجل وقال إنَّ الملك ينتظر أن يراه على أحرّ من الجمر. فرفع الراعي قدره على كتفه من جديد –إذ كان قد أنزلها ليرتاح قليلاً– وسار خلف الرسول إلى حضرة الملك.

كان ملك السود أشدّ سواداً من أي شيء سبق للراعي أن رآه في حياته؛ لكنه كان واثقاً تماماً، بعد كلّ ما رآه، أنَّ دهنه سوف يجعله أبيض هو أيضاً. ولذلك قال فَرِحاً: «صباح

Twitter: @ketab_n

الخير، جلالتك!»، فرد الملك الأسود: «صباح الخير، يا أخي العزيز. سمعتُ أنّ بقدورك أن تعمل العجائب، ورأيت أنّك قد جعلت عدداً من رعاياي بيضاً، فلتخلّصني أنا أيضاً، كرمى للسماء، من سوادي، ولتطلب مقابل ذلك ما تشاء، ولو كان نصف ما أملك!».

فقال الراعي: «ما سمعته جلالتك صحيح تماماً. وإنّه ليسرني أشدّ السرور أن أحاول أن أجعلك أبيض أنت أيضاً!». وأخذ كتلة كبيرة من الدهن ومسح الملك بها جيداً وجه الملك وعنقه. وفي غمضة عين غدا الملك أبيض كالثلج، وسط فرحة شعبه الغامرة. لكن أحداً لم يُسَرّ كما سُرَّ الملك نفسه، فقال ثانيةً: «اطلب وحسب! سوف أعطيك ما تريد، ولو كان عرشي!».

فرّد الراعي: «أنا خادمك المطيع، أشكر جلالتك على تقديم عرشك لي، لكني لا أريده. وإذا ما منحتني ثلاث سفن محملة بالذهب والفضة، وبعض البحّارة الماهرين لقيادتها، وبعض الجنود المدرَّبين والمدافع لحمايتها من القراصنة، فسوف أرضى كثيراً، وأعيد لك السفن والمدافع ما أن تُفْرَغ حمولة الذهب والفضة في بلدي».

أصدر الملك في الحال أوامره، و لم تمض بضعة أيام حتى جاء

Twitter: @ketab_n

خدمه ينقلون إليه أنَّ السفن قد حُمِّلَت ذهباً وفضة، والمدافع قد عُمِّرَت وغدت جاهزةً للإطلاق، والبحّارة والجنود قد أُعِدّوا للقتال إذا ما اعترضهم أيٌّ من لصوص البحر.

عندئذ استأذن الراعي الملكَ بالمغادرة، كما استأذن كلَّ أولئك الذين كانوا ممتنين له إذ جعلهم بيضاً بعد أن كانوا من السود. ثم صعد إلى متن إحدى السفن، فَرِحَاً بعودته إلى وطنه، وتبعت السفينتان الأُخريان المثقلتان بالذهب والفضة السفينة الأولى في عرض البحر.

وبعد إبحارٍ طويل وصلت السفن الثلاث في النهاية إلى ساحل المملكة حيث كان الملك ينتظر، متوّقعاً كلَّ يوم عودة الغجري والراعي للمطالبة بابنته. ترك الراعي سفنه راسيةً في الميناء بهدوء طيلة يوم كامل، ثم نزل الشاطئ ليرى ما يجري، بعد أن لاحظ كثيراً من الجلبة والاضطراب في المدينة. وهناك، وَجَدَ حشداً عظيماً، وحين سأل بعضهم عمّا يفعلونه، أخبروه أنهم في طريقهم إلى شنق غجري جاء إلى المدينة بمالٍ يبلغ سبعين قرشاً، و لم يكتفِ بتبديد ماله على الشراب واللهو، بل استدان سبعين قرشاً آخر وعجز تماماً عن سدادها، وأنَّ ذلك هو السبب في أنّهم على وشك أن يشنقوه. و لم تمضِ لحظات حتى ظهر الجلاد، يقود الغجري، الذي لم يكن سوى ذلك الذي حاول أن يحتال على الراعي بشأن الأميرة.

Twitter: @ketab_n

عرف الراعي غريمه في الحال، واقترب منه، قائلاً: «ما هذا يا صديقي القديم؟ هل وصل بك الأمر إلى هذا الحدّ؟». وما إن وقعت أنظار الغجري على الراعي حتى وقف وراح يندب ويولّول، متوسلاً إليه أن ينقذه من المشنقة، ليكون خادمه المخلص طيلة حياته. وأضاف بدهاء: «أمّا بشأن الأميرة، فقد تخليت عنها منذ زمن طويل، ولا أحفل بشيء سوى أن أنجو من الشنق».

أَسِفَ الراعي الشاب عندئذٍ لحال هذا الشقيّ البائس المُوَلْوِل، وعَرَضَ أن يردّ دين الغجري إذا ما قَبِلَوا. فوافقوا على ذلك، ولم يكتفِ الراعي بدفع السبعين قرشاً التي يدين بها الغجري، بل اشترى له علاوةً على ذلك ثياباً جديدة وعربةً وحصانين قويين. ثم تركه وعاد إلى سفنه، وراح يبحر ببطء بمحاذاة الشاطئ قاصداً مقرّ إقامة الملك.

أما الغجري فقد اعتلى عربته، بعد أن ارتدى ملابسه الجديدة الأنيقة، وراح يقودها بسرعة إلى قصر الملك. وحين وصل إلى هناك، ترك العربة والحصانين في الفناء، ومضى في الحال إلى الملك، وخاطبه قائلاً: «تعلم جلالتك أنه لَمْ يمضِ الحَوْل على إعطائك لي سبعين قرشاً لأتاجر بها، وانظر، ها أنا قد عدت بثياب أنيقة، وعربةٍ متينة يجرها حصانان جميلان يقفان الآن في الفناء. أما الراعي الشاب، فقد سمعت أنّه لم يكتفِ بتبديد مال جلالتك

Twitter: @ketab_n

على العربدة وحسب، بل غدا مَديناً أيضاً، وشُنِقَ لذلك. ولذلك لا فائدة من انتظاره! ولنُقِم حفل زفافي في الحال!».

لم يكن يروق للملك أن يصاهر الغجري، وراح يفكّر بما يقول كي يؤجّل الأمر قليلاً، فإذا به يرى، من نافذته التي كان ينظر عبرها مصادفةً، ثلاث سفن غريبة المظهر تبحر ببطء نحو الشاطئ. فصاح: «أرى بعض الزّوار الأجانب قادمين لزيارتي، وعليّ أن أستقبلهم بالمراسم الواجبة، ولذلك ينبغي أن نؤجّل الزواج بضعة أيام، على الأقل».

لكن الغجري ألحّ على الملك كثيراً أن يزوجه الأميرة في الحال، بل بلغت به الوقاحة حدّ القول للملك إنه لم يعد قادراً على الانتظار، وإن المراسم لن تستغرق أكثر من ساعة. لكن الملك رفض أن يسمع أي شيء من ذلك، فخرج الغجري من بين يدي الملك حانقاً أشدّ الحنق، بعد أن رأى كيف آلت خطته إلى الفشل.

بعد ساعات قليلة ألقت السفن الثلاث غريبة المظهر مراسيها قبالة القصر ونزل الراعي الشاب وحضر بين يدي الملك، الذي دُهِشَ لرؤيته على قيد الحياة، ودُهِلَ لسماع أنه بدلاً من السبعين قرشاً جلب ثلاث سفن مثقلة بالذهب والفضة.

Twitter: @ketab_n

وعندها بات الملك راضياً أشدّ الرضا أن يصاهره، وأخبره، في مجرى الحديث، بما قاله الغجري عن غرقه في الدين وشنقه. فأخبر الراعي الشاب جلالته كيف وجد الغجري، وأنقذ حياته بتسديد دينه. فغضب الملك كثيراً، وأمر خدمه بالبحث عن الغجري وإحضاره أمامه في الحال.

فتّش الخدم القصر وحوله من كلّ الجهات، لكنهم لم يعثروا على أثر للغجري في أيّ مكان. فأمر الملك أن يمضي بعضهم باحثين عنه دون تأخير، وسرعان ما انتشر الحراس في طول البلاد وعرضها، إلى أن أُلقي القبض على الغجري في النهاية، وأُحْضِر أمام الملك، الذي أمر بشنقه لمحاولته المشينة إيذاء الرجل الذي أنقذ حياته وعامله بكلّ ذلك السخاء، ولمحاولته، في الوقت ذاته، خداع الملك.

قضى الراعي الشاب بضعة أيام في القصر، وأخبر الملك بكل ما رآه في العالم الأسود، ثم تزوج الأميرة، بعد أن جرت التحضيرات اللازمة جميعاً، وسط احتفالات فخمةٍ وفرح عظيم. وعاش الملك وابنته وصهره سنوات كثيرة جداً في سعادةٍ غامرةٍ وهناءٍ عظيم.

Twitter: @ketab_n

# ردُّ الجميل بمثله

كان يا ما كان في قديم الزمان، أنَّ ملكاً خرج إلى الصيد في غابته، فألقى القبض على رجل بريّ بدلاً من صيده المعتاد. أخذ الملك هذا الرجل البريّ إلى قلعته، وحَبَسَهُ، بغية السلامة، في سجن تحت الأرض. ثم أعلن أنَّ كلَّ من يجرؤ على إطلاق سراح الرجل البريّ عقوبته الموت.

وشاءت الصدف أن يكون السجن الذي قُيّدَ فيه هذا المخلوق تحت غرفةِ نومِ أصغر أبناء الملك. وكان الرجل البريّ لا ينفكّ يبكي ويئنّ مطالباً بإطلاق سراحه، وكان لهذا النحيب الذي لا يتوقف أن يثير في النهاية حفيظة الأمير الشاب فنزل ذات ليلة وفتح باب السجن، وأخرج السجين.

وفي الصباح دُهِشَ الملك والحاشية والخدم لعدم سماعهم أصوات العويل المعتادة التي كانت تصدر عن السجن، فنزل الملك بنفسه، وقد توقّع حدوث شيء خارج على المألوف، ليرى ما حصل لأسيره. وحين وجد الزنزانة فارغة استشاط غضباً،

Twitter: @ketab_n

وطلب بشدّة من يُفْتَرَض أنّه قد عصا أوامره وأطلقَ الرجل البريّ. أما أفراد الحاشية جميعاً فقد أصيبوا بالهلع لمرأى الغضب على محيّا الملك، فلم يجرؤ أحد منهم على أن ينبس ببنت شفة، ولو كانت التأكيد على براءتهم. غير أن الأمير الشاب، ابن الملك، تقدّم في النهاية واعترف بأنَّ بكاء المخلوق البائس المثير للشفقة كان يزعجه طيلة النهار والليل، مما دفعه في آخر الأمر إلى أن يفتح له الباب. وحين سمع الملك ذلك، جاء دوره في الأسف، إذ وجد نفسه مجبراً على معاقبة ولده بالموت أو نقض ما سبق له أن أعلنه.

غير أنَّ بعضاً من كبار مستشاريه، وقد رأوا مدى حيرة الملك واضطرابه، أتوا وأكّدوا لجلالته أنَّ الإعلان يكون قد نُفِّذَ فعلاً إذا ما طُرِدَ الأمير من المملكة إلى الأبد، بدلاً من أن يُعاقب بالموت.

سُرَّ الملك كثيراً لإيجاد هذا المخرج من المعضلة، وأمر ولده بأن يغادر البلاد، فلا يعود إليها قطّ، وأعطاه في الوقت ذاته كثيراً من رسائل التوصية إلى ملكٍ مملكةٍ نائية، ووجّه واحداً من خدم البلاط كي يمضي مع الأمير الشاب ويقوم على خدمته. وعندئذٍ انطلق الأمير البائس وخادمه في رحلتهما الطويلة.

وبعد فترة من السفر، ظمئ الأمير، ومضى إلى بئرٍ رآه قريباً كي يشرب. لكن الذي جرى أنه لم يكن على البئر ثمّة

Twitter: @ketab_n

دلو، أو أيّ شيء آخر لمتح الماء، مع أنَّ البئر كانت ممتلئة. وحين رأى الأمير ذلك، قال لخادمه: «أمسكني من عقبي بقوة، ودَلّيني في الجبّ لأشرب». ثم انحنى فوق البئر، ودلاّه الخادم كما قال له.

حين أروى الأمير ظمأه، وأراد أن يُرْفَع، رفَضَ الخادم، قائلاً: «بوسعي الآن أن ألقي بك في الجبّ، وسوف أفعل ذلك ما لم تَرْضَ في الحال أن تعطيني ملابسك ومكانتك وتأخذ ملابسي ومكانتي. فأكون الأمير من الآن فصاعداً، وتكون خادمي».

رأى ابن الملك أنّه قد وضع نفسه بغباء في قبضة الخادم، فوعد بتنفيذ كل ما طلبه، ورجاه أن يرفعه وحسب.

غير أنَّ الخادم الخائن لم يكترث لتوسّلات سيده، وقال بفظاظة: «عليك أن تُقسِم يميناً معظّماً ألا تفوه بكلمة لأي كان عن المبادلة التي سنقيمها».

وبالطبع، فإنَّ الأمير، الذي لم يكن بوسعه أن يفعل شيئاً، أقسم اليمين في الحال، فرفعه الخادم، وتبادلا الملابس. فارتدى الخادم الشرير ثياب سيده الفاخرة، وامتطى حصانه، وانطلق في رحلته، في حين تنكّر الأمير المنكود في ثياب خادمه، وراح يسير بجانبه.

Twitter: @ketab_n

مضيا على هذه الحال إلى أن بلغا بلاط الملك الذي أوصاه والد الأمير المنفيّ بابنه.

وصَدَقَ الأمير المنكود ما وعد به، ورأى خادمه المنافق يُسْتَقبَل في البلاط بحفاوة عظيمة كابن ملك عظيم، في حين وقف هو، دون أن يلتفت إليه أحد، في غرفة الانتظار مع الخدم، الذين عاملوه معاملةً عادية تماماً كأنه واحدٌ منهم.

وبعد أن تمتّع الخادم المنافق لبعض الوقت ما شاء له التمتّع بضروب الحفاوة التي أنعم بها الملك عليه، بدأ يخشى نفاد صبر سيده إزاء ما كان يتعرّض له من إهانة، مما قد يدفعه في يومٍ إلى أن ينسى قسمه ويكشف عن حقيقته. وراح الخادم الشرير، وقد ساورته هذه المخاوف، يفكّر بشتّى الطرق الممكنة للتخلّص من سيّده الذي غدر به دون أن يلحق بنفسه أيّ أذى.

وفي يوم من الأيام، حسب أنّه وقع على طريقةٍ لفعل ذلك، وانتهز أول فرصة لتنفيذ خطته اللئيمة.

وينبغي أن تعلموا الآن أنَّ الملك الذي كان هذا الأمير الشقيّ وخادمه المنافق يمكثان في بلاطه، كان يحتفظ في حدائقه بعدد كبير من وحوش البرية مقيّدة في أقفاص ضخمة. وذات صباح،

Twitter: @ketab_n

بينما كان الأمير الزائف يتمشّى في هذه الحدائق مع الملك، قال فجأة: «لدى جلالتك عدد كبير من وحوش البرية بالغة الجمال، وأنا معجب بها كثيراً، لكني أحسبُ أنّه حرامٌ أن تُبقي عليها مقيّدةً، وتنفق على طعامها كلّ هذا القدر من المال. لماذا لا ترسلها إلى الغابة مع راعٍ كي تجد قوتها؟ وإني لأجرؤ على القول إنّ جلالتك سوف تسرُّ كثيراً لو زكّيت لك رجلاً يقدر أن يخرج بها في الصباح ويعود بها آمنة في المساء».

فسأل الملك: «أتحسب حقاً، أيها الأمير، أن بمقدورك أن تجد لي مثل هذا الرجل؟».

فردَّ الرجل القاسي دون تردد: «بالطبع، فهذا الرجل هو الآن في بلاط جلالتك. أعني خادمي. استدعه وحسب وهدّده بأنك ستقطع رأسه إن لم يقم بذلك، وأجبره على قبول المهمة. إنني أجرؤ على القول إنه سوف يحاول أن يعتذر، ويقول إن ذلك مستحيل، فهدده وحسب بأنه سيفقد رأسه إذا ما رفض أو أخفق. وأنا من جهتي، مقتنعٌ تماماً أنّ على جلالتك أن تقتله إذا ما عصى».

حين سمع الملك ذلك، استدعى الأمير المتنكّر، وقال: «سمعت أنّ بمقدورك أن تفعل العجائب: كأن تسوق وحوش البرية كما تُساق الماشية لترعى في الغابة، ثم تعود بها سالمة في المساء إلى

Twitter: @ketab_n

أقفاصها. ولذلك، آمرك بأن تسوق هذا الصباح جميع دببتي إلى الغابة، وتعود بها ثانيةً عند المساء. فإن لم تفعل ذلك، قطعتُ رأسكَ؛ فاحْذر!».

فأجاب الأمير الشقيّ: «لست قادراً على القيام بذلك، والأفضل أن تقوم جلالتك بقطع رأسي في الحال».

لكن الملك لم يُصغِ إليه، بل قال: «سوف ننتظر إلى المساء؛ ثم سأقطع رأسك بلا شكٍ ما لم تعد بجميع دببتي سالمةً إلى أقفاصها».

لم يبقَ أمام الأمير البائس سوى أن يفتح أبواب الأقفاص ويجرّب حظّه في سوق الدببة إلى الغابة. وما إن فتح تلك الأبواب حتى اندفعت تلك الدببة المتوحشة، واختفت بسرعة بين الأشجار.

تبعَ الأميرُ المحزون الدببة إلى الغابة، وجلس على شجرةٍ ساقطةٍ يتأمّل في حظوظه العاثرة. وبينما هو جالس على هذا النحو، راح ينتحب بمرارة، لأنه لم يكن يجد أمامه أيّ احتمال سوى أن يُقطع رأسه في المساء.

وبينما هو جالسٌ على هذا النحو يبكي، برزَ من أجمة مجاورة مخلوقٌ في هيئة إنسان، لكن شعراً كثيفاً كان يكسوه جميعاً،

Twitter: @ketab_n

وسأله عمّا يبكيه. فأخبره الأمير بكل ما جرى له، وأنه ما دامت الدببة جميعاً قد فرّت فإن ما ينتظره هو قطع رأسه في المساء حين يعود من دونها. وحين سمع الرجل البريّ ذلك أعطاه جرساً صغيراً، وقال بمودّة: «لا تخف! احرص وحسب على هذا الجرس، وعندما ترغب في أن تعود الدببة، اقرعه بلطف فتعود وتتبعك بهدوء إلى أقفاصها». وحين قال هذا مضى في سبيله.

حين راحت الشمس تميل إلى المغيب، قرع الأمير الجرس الصغير بلطف، ليغمره الفرح وهو يرى جميع الدببة قد عادت تتراقص حوله بخراقة، وتدعه يعود بها إلى الحدائق، وهي تتبعه مثل قطيع من الماشية، في حين أخرج نايه، من شدّة سروره بالنجاح الذي حققه، وراح يعزف وهو يسير أمامها. وبذلك تمكّن من أن يعيدها إلى أقفاصها دون أية مشكلة.

دُهِشَ كلٌّ من في البلاط لهذا، وفاق الجميع دهشةً ذلك الخادم الغادر، مع أنّه أخفى دهشته، وقال للملك:«لقد رأيت جلالتك أنني كنت صادقاً. وأنا واثق تماماً من أنّ الرجل قادر على تدبّر أمر الذئاب شأنها شأن الدببة، إذا ما قمت بتهديده وحسب كما من قبل».

استدعى الملكُ الأميرَ البائس في الصباح التالي، وأمره بأن يخرج

Twitter: @ketab_n

بالذئاب لترعى في الغابة ويعود بها إلى أقفاصها في المساء. وقال له جلالته كما في السابق :«إن لم تفعل ذلك، قطعت رأسك».

عبثاً توسّل الأمير أن يُعْفَى من القيام بهذا الأمر المستحيل؛ فالملك لم يُصْغِ إليه، واكتفى بالقول :«حاول أيضاً، لأنك إذا ما رفضت أو أخفقت، فسوف تفقد رأسك من غير ريب».

هكذا اضطر الأمير لأن يفتح أقفاص الذئاب، وما إن فعل ذلك حتى وثبت تلك الحيوانات المتوحشّة وفرّت باتجاه الأجمات كما فعلت الدببة، فتبعها ببطء، وجلس يبكي حظه العاثر.

وبينما كان جالساً على هذا النحو، برز الرجل البريّ من الغابة وسأله، كما في اليوم السابق، عمّا يبكيه. فأخبره الأمير، مما دفع ذلك المخلوق لأن يعطيه جرساً صغيراً آخر، وقال له: «حين تريد أن تعود الذئاب، اقرع هذا الجرس الصغير وحسب، وسوف ترجع جميعاً وتتبعك». وحين قال ذلك عاد إلى الغابة، تاركاً الأمير وحده.

وقبل حلول الظلام، قرع الأمير جرسه، وغمره فرح عظيم وهو يرى الذئاب جميعاً تهرع إليه من جميع أنحاء الغابة، وتتبعه بهدوء إلى القلعة وإلى أقفاصها.

Twitter: @ketab_n

وحين رأى الأمير الزائف كلّ هذا، شُدِهَ تماماً. وتظاهر أنّه كان يعلم بقدرة خادمه على أن ينجز بيسرٍ مثل هذه المهام المستحيلة، فنصح الملك بأن يطلق الطيور أيضاً، ويهدد خادمه المزعوم بخسارة رأسه إن أخفق في إعادة السرب كلّه في المساء.

أمر الملك في الصباح التالي الأمير المتنكّر بأن يطلق الحمام البريّ جميعاً، ويعيده سالماً إلى أقفاصه قبل حلول الظلام.

وما إن فتح الشاب المسكين أبواب الأقفاص حتى ارتفع الحمام ارتفاع غيمة في السماء، ثم اختفى في قمم الأشجار.

فكّر الأمير في نفسه: «لا شكّ في أنّ هذه المهمة يائسة، على الرغم من جرسي السحري الصغير، لأنّ الحمام سرعان ما يبتعد فلا يسمعه».

ولذلك جلس الأمير من جديدٍ على الشجرة الساقطة، وراح يندب حظّوظه العاثرة ومصيره البائس.

غير أنّه لم يكد يبدأ النّوح حتى برز الرجل البريّ ذاته من بين الأجمات وسأله عما أحاق به من بليّة جديدة. فروى له الأمير قصته الحزينة. وما كان من ذلك المخلوق إلا أن أعطاه جرساً ثالثاً، وقال: «حين ترغب في أن يعود الحمام إلى أقفاصه ما عليك

Twitter: @ketab_n

سوى أن تقرع هذا الجرس الصغير». وهذا ما حدث بالفعل، فما إن بدأ الأمير بقرع الجرس، حتى ظهر الحمام جميعه وتحلّق حوله. فرجع إلى حدائق القصر وأعاد الحمام إلى أقفاصه المختلفة دون أيّ عناء.

هذه المرّة، كان حشدٌ غفير قد اجتمع منتظراً عودة الخادم المذهل لأن أخبار مواهبه العجيبة كانت قد شاعت. وكان على رأس ذلك الحشد الملك ذاته.

وحين تمّ التأكّد من وجود الحمام إلى آخره، تقدّم الملك من الشاب وهَدَرَ، قائلاً: «من أنت حقّاً، حتى تقدر أن تفتن وحوش البرية وطيورها؟».

فقال الأمير: «ما دمت تطالبني بالحقّ، أيها الملك، فليس أمامي سوى أن أطيع. وسوف أخبرك بكل شيء». وروى الأمير عندئذٍ كيف عصى الملك، والده، فنُفِيَ إنقاذاً لحياته، وكيف غدر به خادمه، وكيف أتى الرجل البريّ الذي أطلق سراحه ليخرجه من الشراك التي نصبها له الخادم الشرير.

وحين سمع الملك كلّ هذا، بهت وتعجّب غاية العجب.

Twitter: @ketab_n

وأمر في الحال أن يُلقَى بالخادم المفضوح في سجنٍ تحت الأرض. غير أنَّ أحداً لم يُسَرّ بانقلاب الحوادث هذا كما سُرَّت ابنة الملك، التي كانت قد وقعت خفيةً ليس في حبّ الأمير الضيف الذي كان الجميع ينتظرون زواجها منه، بل في حبّ خادمه الوسيم واللطيف والغامض. أمّا ما طلبه الأمير من الملك هديةَ زفافٍ فكان إطلاق جميع البهائم الحبيسة في الجنائن الملكية.

وعاش الأمير والأميرة في هناء مديد. وحين قضى الملك، حموه، ترك لهما معاً مملكته وكنوزه جميعاً.

Twitter: @ketab_n

# من حفر حفرة وقع فيها

عاش شيخ مرّةً، كان كلما سمع أحداً يشكو كثرة الأبناء الذين يعيلهم، ضحك وقال: «ليت ربّي يرزقني مئة ولداً».

كان يقول ذلك مازحاً، غير أنّه بمرور الوقت رُزِقَ، حقيقةً، مئة ولد من دون زيادة أو نقصان.

ولقد عانى الكثير كي يجد لأبنائه مهناً مختلفة، غير أنّهم ما أن انطلقوا في هذه الحياة حتى راحوا يعملون بكدّ ويكسبون مالاً وفيراً. لكنَّ مصاعب جديدة راحت تبرز بعد ذلك. ففي يوم جاء الابن الأكبر إلى أبيه وقال: «أحسب، يا أبي العزيز، أنّه قد آن الأوان لكي أتزوج».

و لم يكد ينهي قوله هذا حتى جاء الولد الثاني، قائلاً: «أظنّ الوقت قد حان، يا أبي العزيز، كي تبحث لي عن زوجة».

و لم تمضِ لحظة حتى جاء الولد الثالث، متسائلاً: «ألا تعتقد، يا والدي العزيز، أنَّ الوقت قد بات مناسباً لكي تجد لي زوجة؟»، وهكذا جاء الولد الرابع والخامس، إلى أن طلب

Twitter: @ketab_n

الأبناء المئة الطلب ذاته. جميعهم كانوا يريدون الزواج، ويرغبون في أن يجد الوالد زوجاتهم بأسرع ما يمكنه.

وما كان لهذه المطالب أن تشغل بال الشيخ؛ بل قال لأبنائه: «حسناً، يا أبنائي، لا اعتراض لديّ على زواجكم، غير أنّي أرى عقبة كأداء تعترض ذلك. فأنتم مئة، وكلّ منكم يريد زوجةً، ولا أحسب أنّ بمقدورنا أن نجد مئة فتاة صالحة للزواج في القرى المجاورة الخمس عشرة».

فردّ الأبناء على ذلك، قائلين: «لا تقلق بهذا الشأن، اركب حصانك وخذ في كيسك ما يكفي من كعك الخطوبة. وخذ، أيضاً، عصا في يدك لكي تحزّ فيها حزّاً لكلّ فتاة تراها. لا يهمّ إن كانت جميلة أو قبيحة، عرجاء أو عمياء، فقط حُزَّ حزّاً في عصاك لكل واحدة تلتقيها».

فقال الشيخ: «هذا كلام حكماء، يا أبنائي! سوف أفعل ما تقولون تماماً».

هكذا امتطى حصانه، وألقى على كتفه كيساً ممتلئاً بالكعك وحمل بيده عصا طويلة، وانطلق في الحال يجوب المناطق المجاورة بحثاً عن بناتٍ يتزوجن أبناءه.

Twitter: @ketab_n

قضى الشيخ شهراً كاملاً يتنقّل من قرية إلى أخرى، وكلما رأى فتاةً حزّ حزّاً في عصاه. غير أنّ التعب أعياه، فراح يحصي الحزوز التي حزّها. وحين عدّها بحرص مرّة بعد مرّة، كي يتحقق من أنّه قد أحصاها جميعاً، وجد أنّه لم يحزّ سوى أربعة وسبعين، ولا يزال أمامه ستة وعشرون حزّاً كي يكمل العدد المطلوب. غير أنّه كان منهكاً تماماً بعد شهرٍ من الركوب، فقرر أن يعود إلى البيت. وفي طريق العودة، رأى كاهناً يسوق ثوراً رُبِطَ إلى محراث، ويبدو قلقاً أشدّ القلق حيال أمرٍ ما. وتعجّب العجوز بعض الشيء من رؤية الكاهن يحرث حقوله من دون ولو صبيٍ يساعده، فناداه يسأله لماذا يسوق ثوره بنفسه. غير أنّ الكاهن لم يلتفت ليرى من يناديه، وواصل إلحاحه على ثوره وتوجيه محراثه.

حَسِبَ الشيخ أنّه لم يرفع صوته بما يكفي، فصرخ ثانيةً بأعلى ما يستطيع: «أوقف ثورك قليلاً، وأخبرني لماذا تحرث بنفسك من دون ولو غلام يساعدك، وفي يوم عطلة، أيضاً؟».

عندئذٍ ردَّ الكاهن الذي كان يتصبّب عرقاً: «أستحلفك بشيخوختك أن تتركني في سلام! لا يسعني أن أخبرك بحظّي العاثر».

غير أنّ هذا الردّ لم يزد الشيخ إلا فضولاً، فراح يلحّ بالسؤال كي يعرف ما الذي دفع الكاهن لأن يحرث في عيد القديس.

Twitter: @ketab_n

وفي النهاية تنهّد الكاهن، الذي تعب من إلحافه، وقال: «حسناً، إن كنت تريد أن تعلم، فإنني الرجل الوحيد في بيتي، إذ أنعم عليّ الله بمئة من البنات».

سُرَّ الشيخ كثيراً لسماعه هذا الكلام، وصاح مبتهجاً: «رائع! هذا ما أريده بالضبط، لي مئة ولد، وبما أنَّ لك مئة بنت، يمكن أن نكون أصدقاء!».

ما إن سمع الكاهن ذلك حتى صار لطيفاً وكثير الكلام، ودعا الشيخ أن يقضي الليلة في بيته. وعندئذ، ساق الثور عائداً به إلى القرية، تاركاً المحراث في الحقل. غير أنّه قبل أن يصل بيته بقليل، قال للشيخ: «اسبقني إلى البيت بينما أربط هذا الثور».

و لم يكد الشيخ يطأ الفناء حتى هرعت إليه زوجة الكاهن تطرده بعصا كبيرة، وهي تصيح: « لم نخبز ما يكفي بناتنا المئة، ولا نريد متسولين أو زواراً».

بعد قليل خرج الكاهن من الحظيرة، وحين رأى الشيخ جالساً في الدرب أمام البوابة، سأله لماذا لم يدخل البيت كما قال له أن يفعل. فأجاب: «لقد دخلت، لكن زوجتك طردتني!».

فقال الكاهن: «انتظر هنا لحظةً حتى أعود وأحضرك». ومضى

Twitter: @ketab_n

مسرعاً إلى بيته ووبّخ زوجته، قائلاً: «ما الذي فعلته؟ أيّ فرصة رائعة أهدرتِ! الرجل الذي دخل إلى هنا كان عازماً على أن يغدو صديقنا، ذلك أن له مئة ولد كانوا سيُسَرّون بالزواج من بناتنا المئة!».

حين سمعت الزوجة هذا بدّلت ثوبها بسرعة، وصففت شعرها، وغيّرت غطاء رأسها، ثم خرجت، وعلى وجهها ابتسامة رقيقة، ترحبّ بالشيخ بأشدّ ما تكون الدماثة، بينما كان زوجها يقوده إلى داخل البيت. بل إنّها تظاهرت بعدم معرفة أيّ شيء مطلقاً عن شخصٍ طُرِدَ عن بابهم منذ قليل. ولأن الشيخ كان يتوق كثيراً لأن يجد زوجات لأبنائه، فقد تظاهر هو أيضاً أنه لا يعلم أنّ ربّة المنزل البشوش والمرأة التي طردته بالعصا هما الشخص ذاته.

هكذا قضى الشيخ الليلة في البيت، وفي الصباح طلب من الكاهن رسمياً أيدي بناته المئة ليصرن زوجات لأبنائه المئة. فوافق الكاهن مرحّباً، وكان قد كلّم بناته في الأمر، وعلم أنّهن يرحبن بذلك أيضاً. وعندئذٍ أخذ الشيخ كعك الخطبة، ووضعه على المائدة بجانبه، وأعطى كل فتاة قطعة نقود علامةً. ثمَّ أرسلت معه كلُّ فتاةٍ هديةً صغيرة لخطيبها من بين أبنائه. فوضع الشيخ هذه الهدايا في الحقيبة التي كان يحمل فيها كعك الخطوبة، وامتطى حصانه ومضى إلى بيته مسروراً.

Twitter: @ketab_n

عمّت الفرحةُ العظيمة الأسرةَ حين أخبرهم بما أصابه من نجاح في بحثه، وبأنّه وجد حقاً مئة فتاة صالحة للزواج وراغبة فيه، وبأنّ الفتيات المئة هنّ، أيضاً، بنات كاهن.

أصرّ الأبناء على أنّ الإعداد للزفاف ينبغي أن يبدأ دون تأخير، وشرعوا في الحال يدعون الضيوف الذين سيشاركون في موكب الزفاف الذي سيذهب إلى بيت الكاهن ويجلب العرائس.

غير أنّ صعوبةً أخرى برزت هنا. كان على الوالد الشيخ أن يجد مئتين من المرافقين (اثنين لكلّ عروس)؛ ومئة شاهد أول؛ ومئة شاهد ثانٍ؛ ومئة من السُّعاة (أو الخدم الذين يسعون أمام المواكب)؛ وثلاثمئة من حملة البيارق؛ وعلاوةً على ذلك، عدد مُعْتَبَر من الضيوف الآخرين غير الرسميين.

ولكي يجد الوالد كلَّ هؤلاء الأشخاص، كان عليه أن يجوب المناطق المجاورة على مدى ثلاث سنوات؛ لكنه وجدهم جميعاً في آخر الأمر، وجرى تحديد يوم يلتقون فيه في منزله، ثم ينطلقون في موكب إلى بيت الكاهن.

وفي اليوم الموعود اجتمع الضيوف المدعوون جميعاً في منزل الشيخ. وفي جلبةٍ واضطراب عظيمين، وبعد ولائم كثيرة،

Twitter: @ketab_n

تشكّل موكب الزفاف كما ينبغي، وانطلق قاصداً بيت الكاهن حيث تهيّأت العرائس المئة للمغادرة إلى بيتهن الجديد.

كان الاضطراب عظيماً، حقاً، حتى إنَّ الشيخ نسي أن يأخذ معه واحداً من أولاده المئة، و لم يفتقده قطّ في غمرة التحيات والأحاديث والكؤوس التي اضطر إليها كأب للعرسان. وكان الشاب قد عمل طويلاً وأجهد نفسه في التحضير ليوم الزفاف فلم ينهض إلا بعد فترة طويلة من انطلاق الموكب، ومثل والد هذا الشاب، كان لدى كلّ شخص آخر من الأشياء التي يفعلها أو يفكّر بها ما ينسيه إيّاه.

وصل الموكب بالترتيب اللائق إلى منزل الكاهن، حيث مُدّت لهم مأدبة. وبعد أداء مختلف الأمور الواجبة، وإجراء جميع المراسم المعتادة في مثل هذه المناسبات، سُلّمت الفتيات المئة إلى مرافقيهن، وبدأ الموكب يعود أدراجه إلى بيت الشيخ. ولأنّهم كانوا قد انطلقوا بعد الظهر متأخرين كثيراً، فقد قرروا أن يمضوا الليلة في الطريق. وعندما وصلوا إلى نهرٍ معين يُدعى «منحوس»، وكان الظلام قد حلّ، اقترح بعض الرجال أن يقضي الحفل الليلة قرب الماء من دون أن يعبروا النهر. لكن آخرين من رؤوس الحفل أشاروا بعبور النهر وإقامة مخيّم على الضفة الأخرى، وهذا ما تقرر في

Twitter: @ketab_n

النهاية، بعد نقاش محتدم؛ فانطلق الموكب فوق الجسر. بيد أنه ما إن بلغ حفل الزفاف منتصف الجسر حتى بدأ جانباه يقتربان واحدهما من الآخر، وحشرا ذلك الحشد حتى لا يكاد الواحد منهم يجد متنفساً، فما بالك بأن يجد متسعاً للتقدّم أو التراجع.

بقي الجميع في هذا الوضع لبعض الوقت، بعضهم يصرخ ويلوم، وبعضهم الآخر أسكته الخوف، إلى أن ظهر في النهاية مارد أسود، صرخ بهم بصوت جهوري مرعب: «من أنتم؟ من أين أتيتم؟ وإلى أين تذهبون؟».

فأجاب بعض ذوي الجرأة نحن ذاهبون إلى بيت صديقنا الشيخ، ومعنا العرائس المئة لأبنائه المئة، لكنا لسوء الحظ غامرنا باجتياز هذا الجسر بعد هبوط الليل، فحشرنا معاً و لم يعد بمقدورنا أن نتحرك في أيّ اتجاه».

فسأل المارد الأسود: «وأين صديقكم الشيخ؟».

أدار جميع ضيوف العرس أبصارهم إلى الشيخ، فالتفت هذا الأخير إلى المارد، الذي قال له في الحال: «اسمع، أيها الشيخ! أتعطيني ما نسيت في البيت، إذا ما سمحت لأصدقائك باجتياز الجسر؟».

Twitter: @ketab_n

فكّر الشيخ لبعض الوقت ما عساه أن يكون قد نسي في البيت، لكن عجزه عن تذكّر أيّ شيء محدد، وسماعه أنين وتأوه ضيوفه من كلّ جانب، دفعاه لأن يردّ: «حسناً، سوف أعطيك إيّاه، إذا ما تركت الموكب يمرّ».

فقال المارد للحفل: «لقد سمعتم جميعاً ما وعَدَ به، وأنتم جميعاً شهودي على هذه الصفقة. سوف آتي خلال ثلاثة أيام لآخذ ما اتفقنا عليه».

وحين قال المارد هذا، وسّع الجسر فعبر الموكب آمناً إلى الضفة الأخرى. لكنهم لم يعودوا راغبين في أن يقضوا الليلة على الطريق، فواصلوا السير بأقصى طاقتهم، وفي الصباح الباكر بلغوا منزل الشيخ.

وحين راح الجميع يتحدثون عن المغامرة الغريبة التي خاضوها، بدأ الولد الأكبر، الذي تُرِكَ في البيت، يدرك ما جرى، ومضى إلى والده قائلاً: «آه يا والدي! لقد بعتني للمارد الأسود!».

عندئذٍ تأسّف الوالد كثيراً، واضطرب أشدّ الاضطراب، لكن أصدقاءه راحوا يواسونه، قائلين: «لا تخف لن يحصل شيء».

جرت طقوس الزواج وسط أفراح غامرة. وفي ذروة تلك

Twitter: @ketab_n

الاحتفالات، في اليوم الثالث، ظهر المارد الأسود عند البوابة وصاح: «أعطني، الآن، ما وعدت به».

تقدّم الشيخ وهو يرتعش بأربعة أركانه، وسأل المارد الأسود: «ما الذي تريده؟».

فأجاب: «لا شيء سوى ما وعدتني به».

ولأنه لم يكن بمقدور الشيخ أن ينكث بوعده، فقد اضطرَّ، في كَرْبٍ شديد، أن يعطي ابنه الأكبر للمارد الذي قال عندئذٍ: «الآن، سوف آخذ ابنك معي، وبعد مرور ثلاث سنوات يمكنك أن تأتي إلى نهر المنحوس وتأخذه».

وما إن قال المارد الأسود ذلك حتى اختفى، ومعه الشاب، الذي حمله إلى ورشته كمتدرّب في مهنة السحر.

منذ ذلك الوقت لم يعرف الشيخ البائس لحظة سعادة واحدة. فبات على حزنٍ وقلق دائمين، وراح يعدّ السنين والشهور والأسابيع بل والأيام، إلى أن بزغ فجر اليوم الأخير من السنوات الثلاث. عندئذٍ أخذ عصاه في يده وانطلق مسرعاً إلى ضفة نهر المنحوس. وما أن وصل إلى النهر حتى لاقاه المارد الأسود، وسأله: «لماذا أتيت؟»، فأجاب الشيخ أنه جاء ليأخذ ولده، بحسب الاتفاق.

Twitter: @ketab_n

عندها أحضر المارد صينيةً وقف عليها عصفورٌ دوريّ، وترغلة، وسمّانة، وقال للشيخ: «إذا ما استطعت أن تعرف أيّ من هذه هو ولدك، تأخذه معك».

حدّق الوالد البائس في الطيور الثلاثة، واحداً بعد آخر، مرّة بعد مرّة، لكنه اضطر في النهاية إلى الاعتراف بأنه عاجزٌ عن معرفة ولده من بينها. وبذلك أُجْبِرَ على أن يمضي من تلقاء نفسه، وهو أتعس من ذي قبل. لكنه لم يكن قد قطع نصف طريق العودة إلى البيت حين فكّر في أن يعود إلى النهر ويأخذ واحداً من الطيور تذكّر أنّه أطال التحديق فيه.

وحين وصل نهر المنحوس التقاه المارد ثانيةً، ومعه الصينية أيضاً، وقد وضع عليها هذه المرة حجلاً وقُرْقُفاً ودُجًّا، وقال: «فلتجد أيها الشيخ، من هو ابنك بين هذه الطيور».

حدّق الشيخ القلق من جديد في واحدٍ بعد الآخر، لكنه شعر أنّه متشكك أكثر من ذي قبل، فبكى بمرارةٍ ثانيةً ومضى.

وبينما كان يعبر غابةً بين النهر ومنزله، التقته امرأة عجوز، وقالت له: «توقف هنيهةً! إلى أين تسرع؟ ولِمَ أنت مضطرب على هذا النحو؟». كان الرجل مستغرقاً في التفكير في تعاسته

Twitter: @ketab_n

الشديدة حتى إنّه لم يلتفت في البداية إلى المرأة العجوز؛ لكنها لحقت به، ونادته، وكررت أسئلتها بمزيد من الجدّ. فتوقّف أخيراً، وأخبرها بما لحق به من سوء طالع رهيب. وحين أصغت العجوز إلى القصة كاملةً، قالت فرحةً: «لا تغتمّ! ولا تخف! عُد مرة أخرى إلى النهر، وحين يحضر المارد الطيور الثلاثة، انظر في عينيها عن كثب. فإذا ما رأيت في عين أحدها دمعة، أمسك به بسرعة، لأن فيه روح إنسان».

شكر الشيخ المرأة ممتناً لنصيحتها، وعاد أدراجه، للمرة الثالثة، باتجاه نهر المنحوس. ظهر المارد من جديد، وبدا مبتهجاً أشدّ الابتهاج وقد أحضر صينية ووضع عليها دورياً وحمامة ونقّار خشب، قائلاً: «يا شيخي! انظر أيّها هو ابنك!» عندئذٍ نظر الرجل من كثب في عيون الطيور، ورأى أنّ في عين الحمامة اليمنى ثمّة دمعة تسقط ببطء. فأسرع يمسك بها بقوة، قائلاً هذا هو ولدي!».

وفي غمضة عين وجد نفسه متشبّثاً بكتف ابنه الأكبر، فأسرع عائداً إلى البيت، وهو يغني ويصرخ من شدة الفرح، وسلّمه إلى أكبر كنّاته.

عاش الجميع معاً في هناءٍ لبعض الوقت. لكن الشاب قال لأبيه، ذات يوم: «حين كنت أتدرّب في ورشة المارد الأسود،

Twitter: @ketab_n

تعلّمت حيلاً سحرية كثيرةً. وأنوي الآن أن أتحوّل إلى حصان رائع، فتأخذني إلى السوق وتبيعني لقاء مبلغ كبير من المال. لكن احذر أن تعطي الرّسن.

فعل الأب كما قال له ابنه. ففي يوم السوق التالي ذهب إلى المدينة ومعه حصان رائع يعرضه للبيع. فطاف حول هذا الحصان شارون كُثُر، مُبدين إعجابهم به، وعارضين مبالغ ضخمة ثمناً له، إلى أن تمكن الشيخ في النهاية من بيعه مقابل ألفي دوقاتية. وحين تلقى المال، حرص ألا يترك الرّسن، وعاد إلى البيت غنياً كما لم يحلم من قبل.

وبعد بضعة أيام، أرسل الرجل الذي اشترى الحصان خادمه ومعه الحصان إلى النهر بقصد الاغتسال، وحين بات الحصان في الماء أفلتَ من الخادم وأسرع إلى الغابة المجاورة. وهناك أعاد نفسه إلى هيئته الفعلية، وعاد إلى بيت والده.

وبعد فترة، قال الشاب ذات يوم لوالده: «سأتحوّل الآن إلى ثور، فيمكنك أن تأخذني إلى السوق وتبيعني؛ ولكن احرص ألا تتخلّى عن الحبل الذي تقودني به».

وفي يوم السوق التالي مضى الأب إلى المدينة يقود ثوراً قوياً،

Twitter: @ketab_n

وسرعان ما وجد شارياً قدّم له عشرة أضعاف السعر الذي يُدفع في العادة مقابل ثور. وطلب الشاري الحبلَ أيضاً كي يقود الثور إلى البيت، لكن الشيخ قال له: «ما حاجتك بمثل هذا الشيء العتيق؟ من الأفضل أن تشتري حبلاً جديداً!»، ومضى ومعه الحبل.

في ذلك المساء، وبينما كان خدم الشاري يسوقون الثور إلى الحقل، هرب إلى غابة قريبة، واستعاد هناك هيئته البشرية، وعاد إلى منزل والده.

وعشية يوم السوق التالي، قال الشاب لأبيه: «سأتحوّل الآن إلى بقرة بقرنين ذهبيين، ويمكنك أن تبيعني كما من قبل، فقط احرص ألا تتخلى عن الحبل».

هكذا تحول الشاب في الصباح إلى بقرة، فأخذها والده وذهب إلى السوق، وطلب ثمناً لها ثلاثمئة من الكراونات.

غير أنَّ المارد الأسود كان قد سمع أنَّ تلميذه السابق يجني قدراً كبيراً من المال من ممارسة المهنة التي علمه إياها، وافترسته الغيرة حيال ذلك، فقرر أن يضع حدّاً لمكاسب الشاب.

ولذلك جاء في اليوم الثالث إلى السوق بنفسه كشارٍ، وما أن رأى بقرة جميلة بقرنين ذهبيين حتى أدرك أنها ليست سوى

Twitter: @ketab_n

تلميذه السابق. فتقدّم من العجوز، وزايد على جميع الشارين الآخرين، وأدّى على الفور الثمن الذي اتفق عليه، وما إن فعل ذلك حتى أمسك بالحبل، وحاول أن ينتزعه من العجوز المرتعد، الذي صاح: «لم أبعكَ الحبل، بل البقرة!»، وتشبّث بالحبل بكلتا يديه وبكلّ ما لديه من قوة.

فقال الشاري: «آه، لا! كلٌّ من القانون والعرف في صفي! من يشتري بقرة، يشتري الحبل الذي تُقَاد به أيضاً!». فقال بعض النظارة الذين شُدِهوا وذُهِلوا إنّ هذا صحيح كلّ الصّحة، مما اضطر الشيخ إلى أن يتخلّى عن الحبل.

أخذ المارد الأسود البقرة إلى قلعته، وكان راضياً عن الصفقة أشدّ الرضا. وبعد أن قيّد قوائمها بالسلاسل، حبسها في قبو. وكان يقدّم لها في كلّ صباح بعض الماء والتبن، لكنه لم يفك قيودها قطّ.

غير أن البقرة تمكنت، ذات مساء، من التخلص من أغلالها بعد مكابداتٍ متواصلة. وفتحت باب القبو بقرنيها وهربت.

وفي صباح اليوم التالي مضى المارد الأسود إلى القبو كالمعتاد، حاملاً للبقرة التبن والماء، وحين رأى أنها تحررت وهربت، وضع التبن وانطلق في إثرها.

Twitter: @ketab_n

وحين باتت في مرمى بصره، تحول إلى ذئب وجرى نحوها بكلّ ما أوتي من القوة، لكن تلميذه الذكي تحوّل في الحال من بقرة إلى دبّ، فتحول المارد من ذئب إلى أسد، وعندها تحوّل الدبّ إلى نمر، فتحول الأسد إلى تمساح، الأمر الذي دفع النمر لأن يتحول إلى دوريّ. وهنا تحول المارد من هيئة التمساح إلى صقر، فتحول التلميذ على الفور إلى أرنب بريّ، وحين رأى النسر ذلك تحول إلى كلب سلوقيّ. حينها تحول التلميذ من أرنب بريّ إلى باز، فتحول السلوقي إلى نسر، عندئذٍ تحول التلميذ إلى سمكة. فتحول المارد من نسر إلى فأر، وفي الحال تحول التلميذ إلى قطّ وراح يعدو خلفه، وهنا تحول المارد إلى كومةٍ من الذرة، فتحول التلميذ إلى دجاجة وفراخها، راحوا ينقرون الذرة بنهم حتى أتوا عليها جميعاً ما عدا حبة واحدة، كان فيها المعلم الذي تحول إلى سنجاب، لكن التلميذ تحول إلى صقر على الفور، وانقض على السنجاب وقتله.

هكذا تغلّب التلميذ على معلمه، المارد الأسود، وانتقم لجميع الآلام التي كابدها حين كان يتعلم مهنة السحر. وحين قتل الصقر السنجاب، عاد إلى هيئته الحقّة من جديد، هيئة الشاب الذي راح يغذّ السير فرحاً في طريق العودة إلى أبيه، الذي بات بفضله واسع الثراء.

Twitter: @ketab_n

# المهنة التي لا يعرفها أحد

عاش في قديم الزمان زوجان عجوزان فقيران، لم يكن لهما سوى ولد واحد. وكان الشيخ وزوجته يعملان بكدّ لتغذية ولدهما أحسن تغذية وتنشئته كما ينبغي، آملين أن يعمل، بدوره، على رعايتهما في شيخوختهما.

غير أنَّ الفتى، حين كبر، قال لأبويه: «لقد بتُّ الآن رجلاً، وأنوي أن أتزوج، وأريدكما أن تمضيا إلى الملك في الحال وتطلبا يد ابنته». وهذا ما أدهشهما ودفعهما إلى توبيخه، قائلين: «كيف يمكن لذلك أن يخطر لك على بال؟ نحن لا نملك مأوى سوى هذا الكوخ البائس، ولا نكاد نجد من الخبز ما يكفي، ولا نجرؤ أن نحضر بين يدي الملك، فما بالك بأن نغامر بطلب يد ابنته كي تكون زوجة لك».

لكن الفتى أصرّ على أن يفعلا كما قال، وهددهما بأنهما إن لم يمتثلا لرغبته فسوف يتركهما، ويهيم على وجهه. وحين رأى الوالدان البائسان أنّه جادّ حقاً فيما قاله، وعداه بأن يذهبا ويطلبا

Twitter: @ketab_n

ابنة الملك. عندئذٍ أعدّت الوالدة العجوز كعكة زفاف بحضور ولدها، وحين انتهت منها، وضعتها في حقيبة، وأخذت عصاها في يدها، ومضت مباشرةً إلى القصر حيث يعيش الملك. وهناك أمر الملك بأن تدخل، فقيدت إلى قاعةٍ اعتاد جلالته أن يستقبل فيها الفقراء الذين يأتونه ليطلبوا الصدقات أو يقدموا العرائض.

وقفت العجوز الفقيرة في القاعة، مضطربة وخجلى من ثيابها البالية الحقيرة، وبدت كأنها قدّت من حجرٍ، إلى أن قال لها الملك بلطف: «ما الذي تريدينه مني، أيتها الأم العجوز؟».

لكنها لم تجرؤ على أن تقول لجلالته ما الذي جاء بها، وراحت تتلعثم قائلة: «لا شيء، جلالتك».

عندها ابتسم الملك قليلاً وقال: «لعلك جئت تطلبين صدقةً».

فردّت العجوز، وقد شعرت بالمهانة: «أجل، جلالتك، لو سمحت!».

فاستدعى الملك خدمه وأمرهم بأن يعطوا العجوز عشرة كراونات، ففعلوا. وحين تلقّت العجوز المال، شكرت جلالته، وعادت إلى البيت، قائلة لنفسها: «إنني لأجرؤ على القول إن ولدي حين يرى كل هذا المال لن يفكر ثانية بمغادرتنا».

Twitter: @ketab_n

غير أنَّ تفكيرها هذا كان مخطئاً تماماً، ذلك أنّها ما إن دخلت الكوخ حتى هبَّ الفتى وسألها متعجّلاً :«حسناً، يا أماه، هل فعلت ما طلبته منك؟».

فصاحت: «دَعْ عنك هذا الوهم السخيف، يا ولدي. كيف تتوقع أن أطلب من الملك ابنته زوجة لك؟ إنَّ ذلك لشيء وقح إذا ما فعله نبيل غني، فكيف يمكن أن يخطر ببالنا نحن؟ وعلى أي حال، فإنني لم أجرؤ على أن أقول للملك ولو كلمة واحدة عن هذا الأمر. ولكن انظر إلى هذا المال الوافر الذي عدت به. يمكنك أن تبحث عن زوجة تناسبك، وسوف تنسى ابنة الملك».

حين سمع الشاب كلام والدته غضبَ أشد الغضب، وقال لها: «ما حاجتي بمال الملك؟ لا أريد ماله، بل ابنته! أرى أنك تتلاعبين بي وحسب، ولذلك سوف أترككم. سوف أمضي إلى مكان –أي مكان– تقودني إليه قدماي».

عندئذٍ تضرع الوالدان وتوسلا إلى ولدهما ألا يغادرهما، ويتركهما وحيدين في شيخوختهما، لكنهما لم يتمكنا من تهدئته إلا مقابل وعد قاطع بأنَّ تذهب الوالدة في اليوم التالي إلى الملك من جديد، وتطلب منه حقّاً هذه المرة أن يعطي ابنته لابنهما زوجةً.

Twitter: @ketab_n

هكذا مضت العجوز في الصباح إلى القصر ثانيةً، فأدخلها الخدم إلى القاعة ذاتها التي دخلتها من قبل. وحين رآها الملك واقفةً هناك، سألها: «ما الذي تريدينه أيضاً، أيتها العجوز؟».

غير أنَّ خجلها كان عظيماً، فتلعثمت قائلةً: «لا شيء، جلالتك».

وإذ خمّن الملك أنها جاءت تستعطي من جديد، أمر خدمه بأن يعطوها عشرة كراونات هذه المرة أيضاً.

عادت المرأة البائسة بهذا المال إلى كوخها، حيث لاقاها ابنها متسائلاً: «حسناً، يا أماه، آمل أن تكوني قد فعلتِ ما طلبته منك هذه المرة». لكنها أجابت: «يا ولدي العزيز، دَعْ ابنة الملك وشأنها. كيف يخطر في بالك مثل هذا الأمر. وحتى لو تزوجتك، أين البيت الذي ستجلبها إليه؟ فاهدأ إذاً، وخذ هذا المال الذي جلبته لك».

غضب الفتى لهذا الكلام غضباً أشدّ من السابق، وقال بحدّة: «ما دمتُ أرى أنك لن تدعيني أتزوج ابنة الملك، فسوف أغادركم في التو واللحظة دون رجعة». واندفع خارجاً من الكوخ. فعدا أبواه خلفه، وتمكّنا بعد لأي من أن يقنعاه بالعودة، بعد أن أقسما له أنَّ أمه سوف تذهب من جديد إلى الملك في الصباح، لتطلب من جلالته ابنته حقاً وصدقاً هذه المرة.

Twitter: @ketab_n

هكذا وافق الشاب على العودة إلى البيت وانتظر إلى الغد. وفي اليوم التالي، مضت العجوز، بقلبٍ مكدَّر، إلى القصر، فأُحضِرت بين يدي الملك كما من قبل. وحين رآها جلالته للمرة الثالثة، سألها في الحال: «ما الذي تريدينه هذه المرة، أيتها العجوز؟». فقالت، وهي ترتجف من رأسها إلى أخمص قدميها: «أرجوك، يا جلالة الملك، لا شيء». فصاح الملك: «لا يمكن أن يكون لا شيء. لابد من أنك تريدين شيئاً، فقولي الحقّ في الحال، إنْ كنت حريصة على حياتك!». فاضطرت العجوز أن تحكي للملك القصة بأكملها، وكيف أنّ لدى ولدها رغبة عظيمة في أن يتزوج من الأميرة، وأنه أجبرها على أن تأتي وتطلب من الملك أن يزوّجه ابنته.

حين سمع الملك كلَّ ذلك، قال: «حسناً، لا اعتراض لدي إذا ما وافقت ابنتي». وأمر خدمه أن يحضروا الأميرة بين يديه. وحين جاءت أخبرها بكلِّ شيء، وسألها: «أتوافقين على الزواج من ابن هذه العجوز؟».

فأجابت الأميرة: «لِمَ لا؟ شريطة أن يتعلم تلك المهنة التي لا يعرفها أحد!». عندئذ أمر الملك خدمه بأن يعطوا المال للمرأة البائسة، التي عادت إلى كوخها بقلبٍ فرحٍ.

وما إن دخلت الكوخ، حتى سألها ابنها: «هل خطبتها؟»،

Twitter: @ketab_n

فأجابت: «دعني ألتقط أنفاسي قليلاً! حسناً، لقد طلبتها من الملك بالفعل؛ لكن ذلك كان عبثاً، لأن الأميرة أعلنت أنها لن تتزوج منك قبل أن تتعلم المهنة التي لا يعرفها أحد!».

فصاح الفتى: «آه، هذا بسيط. لقد بتُّ أعلم شرطها الآن، هذا حسنٌ تماماً». وفي الصباح انطلق الفتى يجوب الدنيا باحثاً عن إنسان يمكن أن يعلمه المهنة التي لا يعرفها أحد. وهام طويلاً قبل أن يجد أين يمكنه أن يتعلّم مثل هذه المهنة. وذات يوم، وقد أنهكه المسير وهدّه الحزن، جلس على جذع شجرة ساقطة إلى جانب الطريق. وبعد وهلة من الجلوس على هذا النحو، أتت إليه امرأة عجوز، وسألته: «لمَ أنت حزين كلَّ هذا الحزن، يا ولدي؟»، فأجابها: «ما نفع سؤالك، ما دمت عاجزةً عن مساعدتي». لكن العجوز قالت: «أخبرني بالأمر وحسب، فلعلّي أتمكّن من مساعدتك». فقال: «حسناً، إن كنت تريدين أن تعلمي، الأمر هو أنني جبت الدنيا طويلاً باحثاً عن معلّم يمكنه أن يعلمني المهنة التي لا يعرفها أحد». فصاحت العجوز: «آه، إن كان الأمر مقتصراً على هذا، فلتصغِ إليّ! لا تخف، بل امضِ رأساً إلى الغابة التي أمامنا، وهناك سوف تجد ما تريد».

سُرَّ الفتى كثيراً لسماع ذلك، وهبّ في الحال ماضياً إلى

Twitter: @ketab_n

الغابة. وحين قطع داخلها شوطاً لا بأس به، رأى قلعةً ضخمة، وبينما وقف ينظر إليها ويتساءل ما تكون، برز منها أربعة من المردة وركضوا إليه، وهم يصيحون: «هل ترغب في أن تتعلم المهنة التي لا يعرفها أحد؟»، فقال: «أجل؛ ذلك بالضبط هو سبب مجيئي إلى هنا». وعندئذٍ أدخله المردة إلى القلعة.

وفي اليوم التالي، أعدَّ المردة العدّة للخروج إلى الصيد، وقبل أن ينطلقوا، قالوا له: «لا ينبغي بأي حال من الأحوال أن تدخل الحجرة الأولى إلى جانب قاعة السفرة». غير أن المردة لم يكادوا يختفون عن الأنظار حتى راح الفتى يفكّر في نفسه: «أرى أنني جئت إلى مكان لن أخرج منه حياً قطّ، فلماذا لا أرى ما في الحجرة وليحصل ما يحصل بعد ذلك». ثم مضى وفتح الباب قليلاً وراح يسترق النظر. كان هناك حمار ذهبي مربوطاً إلى مِذْوَدٍ ذهبي. نظر إليه قليلاً، وكان على وشك أن يغلق الباب حين قال الحمار: «تعال وانزع الرَّسن عن رأسي، وأَخْفِه معك. فسوف يفيدك كثيراً إذا ما علمت كيف تستخدمه». فأخذ الفتى الرَّسن، وبعد أن أوصد باب الحجرة، أخفاه بسرعة تحت ثيابه. و لم ينتظر طويلاً قبل أن يعود المردة، الذين سألوه في الحال إن كان قد دخل الحجرة الأولى، فأجاب، وقد تملكه الخوف:

Twitter: @ketab_n

«لا، لم أدخلها». فقال المردة في حنق شديد: «لكننا نعلم أنك دخلتها!». وأمسكوا بعصيّ كبيرة، وراحوا يضربونه بشدة حتى إنّه لم يكد يستطيع النهوض على قدميه. وكان من حسن حظه أنَّ الرَّسن كان معه ملتفاً حول جسده تحت ثيابه، وإلا لكان قُتِل.

وفي اليوم التالي، أعدّ المردة العدّة للخروج إلى الصيد، لكنهم قبل أن يغادروا أمروه بألا يدخل الحجرة الثانية بأي حال من الأحوال.

وما إن غادر المردة حتى تملكه الفضول لرؤية ما يمكن أن يكون في الحجرة الثانية، و لم يستطع أن يقاوم توجّهه نحو بابها، حيث وقف هناك قليلاً، وفكّر في نفسه: «حسناً، إنني ميت أصلاً أكثر مما أنا حيّ، ولن يحصل لي أسوأ من الذي أنا فيه!» وفتح الباب ونظر في الداخل. وأدهشه أن يرى فتاةً رائعة الجمال، مُشَنْشَلَة بالذهب والفضة، جالسةً تسرّح شعرها، وتضع في كلِّ ضفيرةٍ ماسّة كبيرة. فوقف يتأملها بإعجاب وهلةً، وكان على وشك أن يغلق الباب ثانية، حين قالت: «انتظر لحظة، أيها الشاب. تعال وخذ هذا المفتاح، واحرص على أن تحافظ عليه. سوف يفيدك في وقت ما، فقط لو عرفت كيف تستخدمه». فدخل وأخذ المفتاح من الفتاة، ثم خرج وأوصد الباب ومضى يجلس في المكان الذي كان فيه من قبل.

Twitter: @ketab_n

ولم ينتظر هناك طويلاً إلى أن عاد المردة من الصيد. وما إن دخلوا البيت حتى تناولوا عصيهم الكبيرة ليضربوه، وهم يسألونه، في الوقت ذاته، إن كان قد دخل الحجرة الثانية.

فأجابهم، وهو يرتجف بأربعة أركانه: «لا، لم أدخلها!»، فصاح المردة في غضب عظيم: «لكننا نعلم أنك دخلتها». وراحوا يضربونه بأشدّ من اليوم السابق.

وفي صباح الغد، وبينما كان المردة على وشك الخروج إلى الصيد كالعادة، قالوا له: «لا تدخل الحجرة الثالثة، مهما كان السبب، لأنك إن دخلت لن نغفر لك كما غفرنا البارحة، وأول البارحة! وسوف نقتلك بلا شكّ!». لكنهم ما إن غابوا عن الأنظار، حتى راح الشاب يقول لنفسه: «سوف يقتلونني على الأرجح، سواء دخلت الحجرة أم لم أدخلها. وإذا لم يقتلوني، فقد سبق لهم أن ضربوني ذلك الضرب الذي يجعلني واثقاً من أنني لن أعيش طويلاً. ولذلك سوف أمضي وأرى ما في الحجرة الثالثة، وليكن ما يكون». ثم نهض واتجه إلى الحجرة وفتح بابها.

غير أنه ارتعد حين رأى الغرفة ممتلئة برؤوس بشر! رؤوس شبان كانوا قد أتوا، مثله، لكي يتعلموا المهنة التي لا يعرفها أحد، وامتثلوا أشد الامتثال لأوامر المردة، فقتلوهم.

Twitter: @ketab_n

استدار الفتى بسرعة لكي يمضي، لكن رأساً ناده: «لا تخف، بل ادخل!». فدخل الفتى الحجرة، وأعطاه الرأس سلسلة حديدية، وقال: «احرص على هذه السلسلة، فسوف تفيدك في وقت ما إذا ما علمت كيف تستخدمها!»، فأخذ السلسلة، وخرج يوصد الباب.

ومضى الفتى ليجلس في مكانه المعتاد منتظراً عودة المردة، وبينما كان ينتظر، راح خوفه يتنامى، لأنّه كان ينتظر بالفعل أن يقتلوه هذه المرة.

وما إن دخل المردة البيت حتى أخذوا عصيهم وراحوا يضربونه دون أن يتوقفوا ليسألوه عن أيّ شيء. ضربوه بشدة حتى أشرف على الموت؛ ثم ألقوه خارج البيت وقالوا له: «امضِ الآن، ما دمت قد تعلمت المهنة التي لا يعرفها أحد!». لكنه بقي مستلقياً لوقت طويل على الأرض حيث ألقوا به، لا يشعر بغير الألم والتعاسة، إلى أن حاول في آخر الأمر أن يتحرك وهو يقول لنفسه: «حسناً، إن كانوا قد علموني حقاً تلك المهنة التي لا يعرفها أحد، فإنني مستعدٌ أن أتحمّل بسرور كلّ الأوجاع، كرمى لابنة الملك!».

وبعد سفر طويل، بلغ الفتى في النهاية قصر الملك الذي رغب

Twitter: @ketab_n

في الزواج من ابنته. وحين رأى القصر، حزن كثيراً، وتذكّر كلمات الأميرة، لأنه، بعد كل تطوافه ومعاناته، لم يتعلم أيّ مهنة، ولم يتمكن من أن يجد ما هي تلك المهنة التي لا يعرفها أحد. وبينما هو يتفكر فيما ينبغي أن يفعله، تذكّر فجأة الرَّسن، والمفتاح والسلسلة الحديدية، التي كان خبّأها معه منذ أن غادر قلعة المردة الأربعة. فقال لنفسه عندئذٍ: «لأرى ما يمكن أن تفعله هذه الأشياء!». فأخذ الرَّسن وضرب به الأرض، وفي الحال نهض أمامه جواد مطهّم، وعليه سرج جميل. ثم ضرب الأرض بالسلسلة الحديدية فظهر في الحال أرنب بري وكلب سلوقيّ، وراح الأرنب البري يعدو بسرعة والسلوقي يعدو خلفه. وفي لحظة لم يكد الشاب يعرف نفسه، إذ وجد نفسه في حلّة صيد فاخرة، ممتطياً صهوة الجواد يلاحق الأرنب البريّ، الذي اتخذ سبيلاً يمرّ تحت نافذة قصر الملك مباشرةً. وقد صادف، عندئذٍ، أنَّ الملك كان واقفاً في الشرفة ينظر، ولاحظ السلوقي الجميل الذي كان يطارد الأرنب البريّ، والجواد المطهّم الذي كان يعتليه صياد في حلّة رائعة. وسُرَّ الملك كثيراً لمرأى الجواد والسلوقي، حتى إنه نادى في الحال بعضاً من خدمه، وأرسلهم وراء الفارس الغريب، وأمرهم بدعوته إلى القصر. غير أنَّ الفتى، وقد سمع بعضهم يعدون خلفه ينادونه ويصرخون، أسرع يختفي خلف أجمة كثيفة، ويهزُّ الرَّسن والسلسلة الحديدية قليلاً. وفي

Twitter: @ketab_n

الحال اختفى كلّ من الحصان، والسلوقي، والأرنب البري، ووجد نفسه جالساً على الأرض تحت الأشجار مرتدياً ثيابه الرثّة القديمة. وحين وصل خدم الملك ورأوه جالساً هناك، سألوه إن كان قد رأى صياداً أنيقاً على ظهر جواد مطهَّم يمرّ من هناك. فأجابهم بفظاظة: «لا؛ لم أرَ أحداً يمرّ، ولا يهمني أن أنظر لأرى من يمر!».

عندئذٍ، راح خدم الملك يفتشون الغابة، ينادون ويصرخون بأعلى ما يستطيعون، لكن عبثاً؛ فلم يروا أو يسمعوا أيّ شيء عن الصياد. وفي النهاية مضوا إلى الملك، وأخبروه بأن الحصان والصياد الذي كان يمتطيه كانا أسرع بكثير من أن يسمعوا أيّ شيء عنهما في الغابة.

وفي ذلك الحين، كان الشاب قد عزم على أن يمضي إلى الكوخ حيث يعيش والداه اللذان سُرّا كثيراً بعودته إليهما.

وفي الصباح قال الشاب لأبيه: «والآن، يا والدي، سوف أريك ما تعلمته. سوف أتحول إلى حصان جميل، وسوف تقودني إلى المدينة وتبيعني، ولكن احذر أن تتخلى عن الرَّسن، وإلا بقيتُ حصاناً إلى الأبد!». وفي الحال، تحوّل إلى حصان فاتن، وأخذه الوالد إلى السوق ليبيعه. وسرعان ما اجتمع حول الحصان جمهور غفير يتعجّبون لجماله الفائق، ويعرضون إزاءه

Twitter: @ketab_n

أبهظ الأثمان، غير أنَّ الشيخ كان يرفع السعر أكثر فأكثر عند كلّ عرض. وسرعان ما انتشر الخبر في أرجاء المدينة أنَّ ثمة حصاناً رائعاً معروضاً للبيع في السوق، وفي النهاية سمع الملك ذاته بذلك، وأرسل بعض الخدم كي يحضروا الحصان، لكي يراه. فساق الشيخ الحصان في الحال إلى أمام القصر، وبعد أن نظر إليه الملك لبعض الوقت بإعجاب شديد، لم يتمالك نفسه عن الصياح: «أقسم أنني لم أرَ قطّ، فما بالك بأن أمتطي، حصاناً بهذا الجمال، على الرغم من أنني ملك!». ثم سأل الشيخ أن يبيعه إياه. فقال هذا: «إنني لأرغب كثيراً في أن أبيعه لجلالتك، لكني سأبيع الحصان وحسب، من دون الرَّسن». فضحك الملك، وقال: «وما حاجتي برسنك المتّسخ؟ سوف أضع لمثل هذا الحصان رسناً من ذهب!». وهكذا بيع الحصان للملك لقاء ثمن باهظ جداً، وعاد الشيخ إلى البيت ومعه المال.

وفي الصباح، كان ثمة هياج شديد وذهول عظيم في الإصطبلات الملكية، لأن الحصان الجميل اختفى أثناء الليل. ومع اختفاء الحصان، عاد الشاب إلى كوخ أهله.

وبعد يوم أو يومين قال الشاب لأبيه: «سوف أتحول الآن إلى كنيسة جميلة غير بعيدة عن قصر الملك، فإذا ما رغب الملك في

Twitter: @ketab_n

شرائها يمكنك أن تبيعه إياها، واحرص فقط ألا تتخلى عن المفتاح وإلا بقيتُ كنيسةً على الدوام!».

وحين نهض الملك في الصباح، ومضى إلى نافذته كي يتطلع منها، رأى كنيسة جميلةً لم يسبق له أن انتبه إليها. فأرسل خدمه ليستكشفوا أمرها، وسرعان ما عادوا يقولون إنَّ الكنيسة ملكُ شيخ قال لهم إنّه يريد بيعها إذا ما كان الملك يرغب في شرائها. عندئذ أرسل الملك يسأل عن السعر، فردّ الحاجّ: «إنها تستحقّ قَدْراً عظيماً من المال».

وبينما كان الخدم يساومون الوالد الشيخ جاءت امرأة عجوز، هي ذات المرأة التي أرسلت الشاب إلى قلعة المردة الأربعة، والتي كانت هي ذاتها هناك وتعلمت المهنة التي لا يعرفها أحد. وإذ أدركت في الحال أمر الكنيسة برمّته، و لم تكن ترغب في وجود منافس لها في تلك المهنة، قررت أن تضع حداً للشاب. ولهذا الغرض راحت تزاود على الملك، وعرضت، في النهاية، مبلغاً من المال هائلاً، حتى إنَّ الشيخ دُهِشَ تماماً واضطرب لمرأى المال الذي أرته إياه، وقَبِلَ عرضها. وبينما كان يعدّ المال، نسي تماماً أمر المفتاح. لكنه سرعان ما تذكّر ما قاله ابنه، وخشي أن يقع سوء، فركض خلف المرأة العجوز وطلب أن تعطيه المفتاح. لكن هذه

Twitter: @ketab_n

الأخيرة لم تقتنع بأن تعيد المفتاح، وقالت إنه للكنيسة التي اشترتها ودفعت ثمنها. وحين رأى الشيخ أنها لن تعيد إليه المفتاح، فزع كثيراً من أن يلحق سوءٌ بولده، فأمسك بالمرأة العجوز من عنقها وأجبرها أن تلقي بالمفتاح. لكنها حاولت بكل ما أوتيت من قوة أن تستعيده ثانيةً، وبينما كانا يتصارعان، تحول المفتاح فجأة إلى حمامة طارت بعيداً في الجوّ فوق حدائق القصر.

حين رأت العجوز ذلك، تحولت إلى صقر، وراحت تطارد الحمامة. وما إن أوشك الصقر على الانقضاض على الحمامة، حتى تحولت هذه الأخيرة إلى باقة زهور جميلة، سقطت على ابنة الملك، التي صادف أنها كانت تمشي في الحديقة. عندئذٍ تحول الصقر فجأة إلى امرأة عجوز، مضت إلى بوابة القصر وراحت تتوسل وترجو أن تعطيها الأميرة الباقة، أو زهرة منها على الأقل.

لكن الأميرة قالت: «لن أعطيك إياها مقابل أي شيء في الدنيا! لقد سقطت هذه الزهور إليّ من السماء!»، لكن المرأة العجوز كانت عازمة على أن تأخذ زهرة من الباقة، وعندما رأت أن الأميرة لن تسمح، مضت رأساً إلى الملك، واستعطفته أن يأمر ابنته أن تعطيها واحدةً من زهرات الباقة. ولأن الملك ظنّ أن العجوز تريد زهرةً لتداوي مرضاً ما، فقد دعا ابنته إليه وقال لها

Twitter: @ketab_n

أن تعطي واحدة للمتسولة.

غير أنّه ما إن فاه الملك بذلك حتى تحولت الباقة إلى كومة من حبّ الذرة وتبعثرت في كلّ مكان. عندئذٍ تحولت العجوز إلى دجاجة وفراخها، وراحت تنقر الحب بنهم. غير أنَّ الذرة اختفت فجأة، وظهر مكانها ثعلب، وثب على الدجاجة وقتلها.

ثمّ تحوّل الثعلب إلى الشاب، الذي أَوْضَح للملك والأميرة المذهولين أنّه هو الذي طلب يد الأميرة، وأنّه كي ينالها، طاف أرجاء الدنيا بحثاً عن أحد يعلمه المهنة التي لا يعرفها أحد.

عندما سمع الملك وابنته ذلك، سرّهما أن يفيا بجزئهما من الاتفاق، بعد أن رأيا كيف وفى الشاب بالجزء الذي يخصّه.

و لم يمضِ وقت طويل حتى تزوجت ابنة الملك من ابن الزوجين العجوزين الفقيرين، وبنى الملك للأميرة وزوجها قصراً قريباً من قصره. وهناك عاشا في ثبات ونبات وأنجبا كثيراً من البنين والبنات، ويقول بعضهم إنَّ ذريتهما لا تزال قائمة إلى اليوم، وإنَّ هذه الذرية تواظب على الصلاة في الكنيسة، التي تظل مفتوحة لأن مفتاحها تحوّل إلى شاب تزوج من ابنة الملك، بعد أن أراها أنّه قام بما طلبت، وتعلّم من أجلها المهنة التي لا يعرفها أحد.

Twitter: @ketab_n

# الخُطّاب الثلاثة

في بلدٍ بعيدٍ بعيد، وفي قديم الزمان، عاش ملكٌ لم يكن لديه سوى طفلة واحدة هي ابنة فائقة الجمال. وكان عدد خطّاب الأميرة ذلك العدد الكبير، وكان من بينهم ثلاثة من النبلاء الشباب، ممن يحبّهم الملك حبّاً جمّاً. غير أنَّ حبَّ الملك كلّاً من هؤلاء النبلاء بالتساوي، منعه من أن يقرر لمن يزوّج ابنته من بينهم. ولذلك دعا إليه، ذات يوم، هؤلاء النبلاء الثلاثة، وقال: «امضوا جميعاً، وطوفوا في أرجاء الدنيا. ومن يعود ومعه أَعْجَبُ شيء يصبح صهري!».

انطلق الخطّاب الثلاثة في أسفارهم في الحال، واتّخذ كل منهم طريقاً مخالفاً للآخرين، ومضوا يبحثون عن الأشياء العجيبة في بلدان متباينة أشدّ التباين.

و لم يمض وقت طويل حتى وجد أحد النبلاء الشباب بساطاً رائعاً يحمل كلَّ من يجلس عليه ويطير به.

Twitter: @ketab_n

ووجد النبيل الثاني منظاراً عجيباً، يمكن أن يرى بواسطته كلَّ أحد وكلَّ شيء في الدنيا، بما في ذلك الرمال متعددة الألوان في قعر البحر العميق الشاسع.

أمّا النبيل الثالث فقد وجد مرهماً عجيباً يمكن أن يشفي كلَّ مرض في الدنيا، بل يمكن أن يبعث الموتى أحياء من جديد.

وعندما وجد الرحّالة النبلاء الثلاثة هذه الأشياء العجيبة كانوا بعيدين أحدهم عن الآخر أشدّ البعد. غير أنّه حين نظر الشاب الذي وجد المنظار من خلاله رأى واحداً من صديقيه السابقين وغريميه الحاليين يمشي حاملاً بساطاً على كتفه، فأسرع يلحق به، ولأنّه كان بمقدوره، بواسطة منظاره العجيب، أن يرى أين صار النبيل الآخر، لم يصعب عليه إيجاده، وحين التقى الاثنان، جلسا واحدهما قرب الآخر على البساط العجيب، الذي طار بهما إلى أن التحقا بالرحّالة الثالث.

وذات يوم، وبينما كان كلٌّ منهم يحكي عن الشيء العجيب الذي رآه في أسفاره، صاح أحدهم فجأة: «دعونا نرَ الآن ما الذي تفعله الأميرة الجميلة، وأين هي؟». فنظر النبيل الذي وجد المنظار من خلاله ودُهِشَ وفَزِعَ كثيراً إذ رأى ابنة الملك ترقد مريضةً، تكاد تشرف على الموت. فأخبر بذلك صديقيه وغريميه،

Twitter: @ketab_n

فنزل الخبر عليهما كالصاعقة إلى أن تذكّر الذي وجد المرهم ذا التأثير العجيب مرهمه فجأة وصاح: «أنا واثق من أنني أقدر على شفائها، إذا ما وصلتُ القصرَ بالسرعة الكافية!» ولدى سماع هذا، صاح النبيل الذي وجد البساط العجيب: «فلنجلس على بساطي، وسوف يطير بنا في الحال إلى قصر الملك!».

عندئذٍ ركب النبلاء الثلاثة البساط، الذي ارتفع في الهواء رأساً، وحملهم مباشرةً إلى قصر الملك.

استقبلهم الملك في الحال؛ لكنه قال، والحزن يعصر قلبه: «إنني لآسفُ لكم: لكلِّ أسفاركم التي كانت عبثاً. ابنتي تشرف على الموت، ولا تستطيع أن تتزوج أيّاً منكم!».

لكن النبيل الذي لديه المرهم العجيب أجاب، قائلاً: «لا تخف، يا سيدي، لن تموت الأميرة!»، وحين سُمِحَ له أن يدخل الجناح حيث ترقد مريضةً، وضع المرهم لكي يمكنها أن تشمّه. وما هي إلا لحظات حتى انتعشت الأميرة، وحين دهنت النساء القائمات على خدمتها بشرتها بقليل من المرهم شفيت بسرعة حتى إنها عادت خلال بضعة أيام أفضل مما كانت قبل أن تمرض.

بيد أنَّ خلافاً شديداً نشب عندئذٍ بين النبلاء الثلاثة: فأكّد

Twitter: @ketab_n

الذي لديه المرهم أنَّ الأميرة كانت ستموت لو لم يجد المرهم، ولذلك لا يمكن أن تتزوج من أحدٍ آخر. وأعلن الذي لديه المنظار أنه لو لم يجد المنظار العجيب لما علموا قطّ أن الأميرة تحتضر، ولما تمكّن صديقه من جلب المرهم لمداواتها. أما النبيل الثالث فبرهن أنّه لو لم يجد البساط العجيب، لما كان بمقدور صاحب المرهم أو صاحب المنظار أن يساعدا الأميرة، لأنه ما كان لهما أن يقطعا تلك المسافة العظيمة في الوقت اللازم لإنقاذها. وحين بلغت أنباء هذا الخلاف أسماع الملك، دعا إليه النبلاء الثلاثة الشباب، وقال لهم: «أيها الأسياد، ما أراه، مما قلتموه، هو أنني لا أستطيع أن أعطي ابنتي أياً منكم، وأظلُّ عادلاً؛ ولذلك أرجوكم أن تتخلوا جميعاً عن فكرة الزواج منها، وأن تظلوا أصدقاء كما كنتم قبل أن تصبحوا غرماء».

رأى النبلاء الشباب الثلاثة أنَّ الملك قد عدل في قراره فتركوا بلدهم جميعاً، ومضوا إلى صحراء بعيدة ليعيشوا كما يعيش النساك. وأعطى الملك الأميرة إلى نبيل آخر من نبلائه البارزين.

ومرّت سنوات كثيرة على زواج الأميرة قبل أن يرسل والدها زوجها إلى بلاد بعيدة كان الملك يحاربها. فأخذ النبيل معه زوجته، الأميرة، لأنه لم يكن يعلم كم سيضطر للبقاء في

Twitter: @ketab_n

الخارج. وصادف عندئذٍ أن هبّت عاصفة عنيفة بينما كان القارب، الذي فيه الأميرة وزوجها، يدنو من ساحلٍ غريب، وفي ذروة العاصفة العظيمة ارتطم القارب ببعض الصخور، وتحطّم في الحال. وهلك جميع من كانوا على القارب وغرقوا في البحر، ما عدا الأميرة التي تمسّكت بالقارب بأشدّ ما تستطيع، فحملتها الرياح والمدّ إلى الشاطئ. وهناك رأت ما بدا بلداً غير مأهول، وحين وجدت كهفاً صغيراً في صخرةٍ، عاشت فيه وحدها ثلاث سنوات، تقتات على أعشاب البرية وثمارها. وكانت تبحث كلّ يوم عن طريقة للخروج من الغابة المحيطة بكهفها، ولكن من دون جدوى. غير أنها، ذات يوم، وكانت ابتعدت أكثر من المعتاد عن الكهف الذي تعيش فيه، وقعت فجأة على كهف آخر، وأدهشها كثيراً أنّ له باباً صغيراً فحاولت مرّة بعد مرّة أن تفتح ذلك الباب، وهي تفكر بأن تمضي الليلة في الكهف، لكن محاولاتها جميعاً ذهبت سدى، فقد كان موصداً بقوة. بيد أنّ صوتاً خفيضاً صاح في النهاية من داخل الكهف: «من في الباب؟».

فدهشت الأميرة كثيراً حتى إنّها لم تستطع لوهلةٍ أن تردّ؛ لكنها، حين تمالكت نفسها بعض الشيء، قالت: «افتح لي

Twitter: @ketab_n

الباب!»، فانفتح الباب من الداخل في الحال، ورأت، والرعب يتملكها، شيخاً بلحيةٍ رمادية كثيفة بلغت أسفل خصره وشعرٍ طويل بلغ كتفيه.

وما أفزع الأميرة مزيداً من الفزع هو أن تجد رجلاً يعيش هنا على الجزيرة ذاتها التي عاشت عليها سنوات ثلاث من دون أن تقع عيناها على أيّ شخص.

نظر الناسك والأميرة واحدهما إلى الآخر طويلاً بإمعانٍ من دون أن ينبسا ببنت شفة. لكن الشيخ قال في النهاية: «قولي لي، هل أنت ملاك أم ابنة هذه الدنيا؟».

فأجابت الأميرة: «أيها الشيخ، دعني أرتح قليلاً، من ثمّ أخبرك بكلّ شيء عني، وعمّا جاء بي إلى هنا!»، فأحضر الناسك بعض الإجّاص البري، وحين تناولت منه الأميرة، راحت تخبره من تكون، وكيف جاءت إلى تلك الجزيرة. وقالت: «أنا ابنة ملك، وذات مرة، منذ سنوات كثيرة، طلب ثلاثة نبلاء شباب من حاشية أبي يدي للزواج. ولأن الملك كان يشعر بالقدر ذاته من العاطفة تجاه كلٍّ منهم، أرسلهم إلى بلدان بعيدة، ووعدهم أن يحسم بينهم حين يعودون. وبقي النبلاء الثلاثة فترة طويلة بعيداً عن الوطن، وبينما كانوا في مكان ما خارج البلاد، ألمّ بي مرض

Twitter: @ketab_n

خطير. وكنت على شفا الموت، حين عادوا جميعاً فجأة، وقد جلب أحدهم مرهماً عجيباً شفاني في الحال، أما الآخران فقد جلب كلٌّ منهما شيئاً عجيباً بالمثل؛ بساطاً يطير بكل من يجلس عليه، ومنظاراً يمكن للمرء أن يرى بواسطته كلَّ أحد وكلَّ شيء في الدنيا، بما في ذلك الرمل في قعر البحر».

وكانت الأميرة وصلت إلى هذا الحدّ من حكايتها حين قاطعها الناسك فجأةً، قائلاً: «كلّ ما جرى بعد ذلك أعلمه مثلك. انظري إليَّ، يا ابنتي! إنني واحد من أولئك النبلاء الذين سعوا إلى الظفر بيدك، وها هو المنظار العجيب». وأخرج الناسك الأداة من كوّةٍ في جانب كهفه قبل أن يواصل، قائلاً: «لقد جاء صديقيّ وغريميّ معي إلى هذه الجزيرة. لكنا افترقنا في الحال، و لم نلتق منذ ذلك الحين. ولا أعلم إن كانا حيين أم ميتين، لكني سأنظر أين هما».

ثم نظر الناسك في المنظار، ورأى أنَّ النبيلين الآخرين يعيشان في كهفين ككهفه، في جزأين مختلفين من الجزيرة ذاتها. وإذ رأى ذلك، أخذ الأميرة من يدها وقادها إلى أن وجد الناسكين الآخرين. وحين التأم شمل الجميع من جديد، قصّت الأميرة مغامراتها منذ أن غرقت السفينة التي كان زوجها على متنها، ونجت وحدها.

Twitter: @ketab_n

سُرَّ النبلاء الثلاثة لرؤيتها حيّةً من جديد، لكنهم قرروا في الحال أنَّ عليهم أن يعيدوها إلى أبيها الملك.

عندئذٍ قدّموا للأميرة هدية كلاً من المنظار العجيب، والمرهم العجيب، ووضعوها على البساط العجيب، الذي طار بها وبكنوزها بسرعة وسلامة إلى قصر والدها. أمّا النبلاء الثلاثة، فقد بقوا على الجزيرة، يعيشون كالنسّاك، لا يزور واحدهم الآخر إلا من حين إلى حين، حتى إنَّ السنين لم تعد تبدو مملّة بالنسبة لهم، ذلك أنَّ لديهم كثيراً من المغامرات التي يقصّها واحدهم على مسامع الآخر.

سُرَّ الملك كثيراً لعودة ابنته الوحيدة سالمة، وعاشت الأميرة مع والدها سنوات كثيرة؛ غير أنّه لا الملك ولا ابنته استطاعا أن ينسيا تماماً أولئك الأصدقاء النبلاء الثلاثة الذين عاشوا من أجلها مثل النسّاك على صحراء موحشة في أرض نائية أشدّ النأي.

Twitter: @ketab_n

# التوأم ذهبي الشعر

كان يا ما كان، في قديم الزمان، ملكٌ شاب يرغب كثيراً في الزواج، لكنه لم يستطع أن يحسم أيّ مكان هو الأفضل للبحث عن زوجة.

وفي إحدى العشيّات، بينما كان يسير متنكراً، كعادته، في شوارع عاصمته، توقّف ليصغي قرب نافذة مفتوحة حيث سمع فتيات ثلاثاً يتجاذبن أطراف الحديث فَرِحَات.

كانت الفتيات يتحدثن عن خبرٍ شاع أخيراً في أرجاء المدينة، أنَّ الملك قد عزم على الزواج في أسرع وقت.

صاحت واحدة من الفتيات: «لو أنَّ الملك يتزوجني لكنت أنجب له صبياً يكون أعظم الأبطال في هذه الدنيا». وقالت الفتاة الثانية: «لو كان لي أن أغدو زوجته لأهديته صبيين في آن معاً، توأماً بشعر ذهبي».

أمّا الفتاة الثالثة فأعلنت لو أنَّ الملك يتزوجها لكانت تعطيه ابنةً لا مثيل لجمالها في الدنيا الواسعة.

Twitter: @ketab_n

سمع الملك الشاب كلَّ هذا، وفكّر لبعض الوقت في كلماتهن، وحاول أن يتوصّل إلى قرارٍ أيّ الفتيات الثلاث ينبغي أن يختار زوجةً له. وفي النهاية قرر أن يتزوج من التي قالت إنها ستنجب له توأماً ذهبي الشعر.

وما إن وطّد العزم على ذلك حتى أَمرَ أن تجري على الفور جميع الاستعدادات لزواجه، وبعد وقت قصير، حين بات كلّ شيء جاهزاً، تزوج الفتاة الثانية من بين الفتيات الثلاث.

وبعد أشهرٍ على الزواج، تلقى الملك الشاب، الذي كان في حربٍ مع أحد الأمراء في الجوار، أنباءً عن «هزيمة جيشه»، وأنه ينبغي أن يحضر للتوّ إلى المعسكر. فغادر العاصمة ومضى إلى جيشه، تاركاً الملكة الشابة في قصره كي ترعى زوجة أبيه. وكانت زوجة الأب هذه تكره كنّتها أشدّ الكره، وعندما أوشكت الملكة الشابة أن تضع، قالت الملكة العجوز إنَّ من المعتاد في العائلة الملكية أن يولد ورثة العرش في حجرة مهملة أعلى القصر.

صدّقت الملكة الشابة ما قالته حماتها (فلم تكن تعلم عن عادات الأُسَر الملكية سوى ما تعلّمته من السماع أو المشاهدة بعد زواجها من الملك)، مع أنّها أَسِفَتْ كثيراً لمغادرة جناحها الرائع والصعود إلى علّية بائسة.

Twitter: @ketab_n

وعندما وُلِدَ التوأم ذهبي الشعر، احتالت الملكة العجوز أن تسرقهما من مهدهما، ووضعت مكانهما جروين قبيحين. ثمَّ دفنت الصبيين الجميلين بشعرهما الذهبي حيين في بقعةٍ معزولة من حدائق القصر، وأرسلت إلى الملك أنَّ الملكة الشابة قد أنجبت له جروين بدلاً من الوريثين اللذين كان يأمل مجيئهما. وقالت الخالة الشريرة في رسالتها إلى الملك إنَّ ذلك لم يدهشها، على الرغم من أسفها الشديد للخيبة التي مني بها الملك، فلطالما خطر لها أنَّ صداقة عظيمة تربط الملكة الشابة بالجنّ والعفاريت وكلّ صنوف الأرواح الشريرة.

حين تلقى الملك الرسالة، تملّكه ذلك السخط المخيف، لأنه لم يتزوج الفتاة إلا لكي تنجب له التوأم ذهبي الشعر الذي وعدته به فيرث عرشه.

ولذلك أرسل ردّاً إلى الملكة العجوز بأن توضع زوجته في الحال في قبوٍ رطبٍ في القلعة، الأمر الذي حرصت المرأة الشريرة على أن تراه ينفّذ دون تأخير. وهكذا أُلقيَ بالملكة الشابة المسكينة في قبوٍ مظلم بائس تحت القصر، و لم يُقدَّم لها سوى الخبز والماء.

لم يكن في هذا السجن سوى ثقب بالغ الصِّغر -لا يكاد يسمح بدخول الضوء أو الهواء- لكن الملكة العجوز احتالت أن تجعل عدداً كبيراً من البشر يمرّون بهذا الثقب ويسيئون للملكة

Twitter: @ketab_n

الشابة الشقيّة، منادين عليها: «هل أنت الملكة حقاً؟ هل أنت الفتاة التي غشّت الملك كي تغدو ملكة؟ أين توأمك ذهبي الشعر؟ لقد غششتِ الملك وصديقتيكِ، وها هي الساحرات قد غشّتك!».

غير أنَّ الملك الشاب، على الرغم من غضبه الشديد وشعوره بالمهانة حيال خيبة أمله الرهيبة، كان في الوقت ذاته أشدّ حزناً واضطراباً من أن يرغب في العودة إلى القصر. ولذلك بقي بعيداً على مدى تسعة أعوام كاملة. وعندما رضي أن يعود في النهاية، كان أول شيء لاحظه في حدائق القصر شجرتين فتيتين جميلتين، لهما الحجم ذاته والهيئة ذاتها.

كان لهاتين الشجرتين كلتيهما أوراق وبراعم ذهبية، وكانتا قد نمتا وحدهما في البقعة ذاتها حيث دفنت خالة الملك الصبيين ذوي الشعر الذهبي بعد أن سرقتهما من مهدهما.

أُعجب الملك بهاتين الشجرتين كثيراً، و لم يكن يملّ النظر إليهما. غير أنَّ هذا لم يسرّ الملكة العجوز مطلقاً، لأنها كانت تعلم أنَّ الأميرين الصغيرين مدفونين حيث نمت الشجرتان تماماً، ولطالما كانت تخشى أن يبلغ ما فعلته مسامع الملك على نحوٍ من الأنحاء. ولذلك زعمت أنها مريضة جداً، وأعلنت أنها لا بدّ مائتة ما لم يأمر ابن زوجها، الملك، بأن تُقطع الشجرتان، ويُصنَع من خشبهما سريرٌ لها.

Twitter: @ketab_n

ولأن الملك لم يُرد أن يكون سبباً في موتها، فقد أمر بأن تُحقَّق رغبتها، على الرغم من أسفه الشديد لفقدان شجرتيه المحبتين.

وسرعان ما صُنعَ سريرٌ من الشجرتين رقدت عليه الملكة المتمارضة كما رغبت. ولقد سرّها تماماً أنَّ الشجرتين بأوراقهما الذهبية قد اختفتا من الحديقة؛ غير أنّها، حين حلّ منتصف الليل، لم تستطع أن تنام أو يغمض لها جفن، إذ تراءى لها أنها سمعت لوحي الخشب اللذين صُنِعَ منهما سريرها يحدّثان واحدهما الآخر!

وتراءى لها في النهاية أنَّ واحداً من اللوحين قد قال، بأشدّ ما يكون الوضوح: «كيف حالك، يا أخي» فأجاب اللوح الآخر: «شكراً، إنني في أحسن حال؛ كيف حالك أنت؟»، فردّ اللوح الأول: «آه، إنني على ما يرام، لكنني أفكّر بحال أمّنا المسكينة في قبوها المظلم! لعلّها جائعة وعطشى!».

لم يغمض للملكة العجوز الشريرة جفن طوال الليل، بعد أن سمعت هذا الحديث بين لوحي سريرها الجديد. ولذلك نهضت في الصباح الباكر ومضت إلى الملك فشكرته على تلبية رغبتها، وقالت إنّها تحسّنت كثيراً، لكنها واثقة من أنها لن تشفى تماماً ما لم يُقْطَع لوحا سريرها ويلقيان في النار. فأسف الملك لفقدانه حتى اللوحين اللذين صنعا من شجرتيه المحبتين، لكنه لم يستطع

Twitter: @ketab_n

أن يرفض استخدام الوسيلة التي أشير إليها من أجل شفاء خالته كلَّ الشفاء.

وهكذا قُطعَ السرير الجديد قِطَعاً وأُلقيَ في النار. غير أنّه بينما كان اللوحان يحترقان ويطقطقان، طارت شرارتان إلى الفناء، وفي غمضة عين شوهد حَملين جميلين بجزّتين ذهبيتين وقرون ذهبية يثبان في الفناء.

أُعجِبَ الملك بالحملين أشدّ الإعجاب، وراح يستقصي من الذي أرسلهما إلى هناك، ومن صاحبهما. بل إنه أرسل المنادي مرّات عديدة كي ينادي في أرجاء المدينة على صاحب الحملين بجزّتيهما الذهبيتين أن يظهر ويطالب بهما، لكن أحداً لم يظهر، مما حدا بالملك أن يحسب في النهاية أنّه لن يخرج على العدل إذا ما ضمّهما إلى أملاكه.

راح الملك يكلأ هذين الحملين بأشدّ الرعاية، وكان يأمر في كلّ صباح أن يُطعما جيداً ويُعتنى بهما، لكن ذلك ما كان ليُسرّ خالته على الإطلاق. و لم تستطع أن تحتمل حتى النظر إلى الحملين بجزّتيهما الذهبيتين وقرونهما الذهبية، لأنهما كانا يذكّرانها على الدوام بالتوأم ذهبي الشعر. ولذلك لم تلبث أن زعمت أنَّ مرضاً خطيراً قد ألمّ بها، وأعلنت عن ثقتها بأنها سرعان ما ستموت إنْ لم يُذبَح الحملان ويُطبَخان من أجلها.

Twitter: @ketab_n

كان الملك مولعاً بهذين الحملين بجزّتيهما الذهبيتين أكثر من ولعه بالشجرتين بأوراقهما الذهبية، لكنه لم يستطع أن يقاوم طويلاً دموع الملكة العجوز وتوسلاتها، خاصةً أنها بدت مُدْنَفَةً. فذُبِحَ الحملان، وأُمِرَ خادم بأن يأخذ جزّتيهما الذهبيتين إلى النهر ويزيل عنهما الدماء. وبينما كان الخادم يضع الجزّتين في الماء، انزلقتا من بين أصابعه، على نحوٍ ما، ومضتا مع التيار الذي اشتدّ وتسارع في ذلك المكان بالذات. وصادف آنئذ أنّ صياداً كان مارّاً بجوار النهر، ونظر في الماء، فرأى فيه شيئاً غريباً. فنزل في الماء وأمسك بصندوق صغير حمله معه إلى البيت، وهناك فتحه. وكان من دهشته التي تفوق الوصف أنّه وجد في الصندوق صبيين بشعر ذهبيّ. ولأنه لم يكن لدى الصياد أيّ أبناء، فقد تبنّى التوأم الذي أخرجه من النهر، ورعاهما كأنهما ابناه. وحين كبر التوأم وباتا شابين وسيمين، قال أحدهما لأبيه بالتبني: «اصنع لنا ثوبين من تلك الأثواب التي يرتديها المتسولون، ودعنا نذهب ونطف قليلاً في هذه الدنيا!». لكن الصياد ردّ قائلاً: «لا، سأصنع لكما حلّتين جميلتين، تليقان بشابين من النبلاء». غير أنّ التوأم توسلاّ إليه كثيراً ألا يبدد ماله على شراء ملابس جميلة، وقالا له إنهما يرغبان في أن يرتحلا كمتسولين، ففعل الصياد كما يريدان –كعادته في الاستجابة لرغبات ابنيه الوسيمين بالتبني– وأمر بأن

Twitter: @ketab_n

تُصنع لهما حلّتان، كتلك الحلل التي يرتديها المتسولون. وارتدى الولدان عندئذٍ كما يرتدي المتسولون، وتمكّنا من إخفاء خصلات شعرهما الذهبية الجميلة، وانطلقا لكي يريا الدنيا. وأخذا معهما ربابة وصنجاً نحاسياً، وراحا يعيلان نفسيهما بالغناء والعزف.

هامَ التوأم على هذا النحو بعض الوقت قبل أن يصلا في يوم إلى قصر الملك. ولأن الظلام كان يوشك أن يخيّم، طلب الموسيقيان أن يُسمَح لهما بقضاء الليلة في واحد من المباني الخارجية الملحقة بالبلاط لأنهما فقيران وغريبان تماماً عن المدينة. غير أنَّ الملكة العجوز، التي صادف أن كانت في الفناء، رأتهما وسمعت ما طلباه، فقالت بحدّة إنه لا ينبغي أن يُسْمَح للمتسولين بأن يدخلوا أيّ ناحية من قصر الملك. فقال المسافران إنهما كانا يأملان أن يدفعا مقابل إقامتهما لليلة أغاني وألحان، لأنّ أحدهما يعزف ويغني على الربابة والآخر على الصنج النحاسي.

غير أنَّ الملكة العجوز لم تتأثر بذلك، بل ألحّت على أن يغادرا في الحال. وكان من حسن حظ الأخوين أنَّ الملك ذاته خرج إلى الفناء لحظة أمرتهما خالته الغاضبة أن يغادرا، فوجّه خدمه في الحال أن يجدوا مكاناً ينام فيه هذان الموسيقيان، وأمرهم بأن يقدموا للأخوين عشاءً شهياً. وبعد أن تناولا العشاء، أمر الملك

Twitter: @ketab_n

بأن يُحْضَرا أمامه علّه يحكم على براعتهما كموسيقيين، ويعينه غناؤهما على تزجية الوقت في حبور.

هكذا أحضَرَ الخدم الشابين بين يدي الملك، بعد أن تناولا ما قُدِّمَ لهما من أطايب، وراحا يشدوان بهذه الأغنية:

«السنونوة، العصفورة الجميلة، بنت عشها بعناية، في قصر الملك. وفي العشّ ربّت بالهناء اثنين من صغارها. لكنَّ طائراً أسود بشعاً جاء إلى عشّ السنونوة كي يعكّر صفو هنائها، ويقتل صغيريها. وأفلح الطائر الأسود البشع في إفساد هناء السنونوة الصغيرة المسكينة؛ لكن الصغيرين نجيا، على الرغم من ضعفهما وريشهما الذي لم ينبت، وحين كبرا وتمكّنا من الطيران، جاءا ينظران القصر حيث بنت أمهما، السنونوة الجميلة عشّها».

غنّى المغنيان الجوالان هذه الأغنية الغريبة بعذوبة بالغة فتنت الملك، فراح يسألهما عن معنى كلماتها.

عندئذٍ نزع الشابان اللذان يرتديان ثياباً وضيعة قبعتيهما، فتدلّت خصلات شعرهما الذهبي فوق أكتافهما، وتألّق النور وسطع لينير القاعة برمتها. ثم تقدّما إلى الأمام معاً، وأخبرا الملك بكلّ ما جرى لهما ولوالدتهما، وأثبتا له أنهما ولداه حقّاً.

Twitter: @ketab_n

تملّك الغضبُ الشديد الملكَ حين سمع بكلّ تلك الشنائع التي ارتكبتها خالته، وأعطى الأوامر بأن تُحرق حتى الموت. ثم مضى مع الأميرين بشعرهما الذهبي إلى القبو البائس حيث حُبِسَت أمهما الشقيّة على مدى سنوات، فأتوا بها من جديد إلى قصرها الجميل. وحينما نظرت، هناك، إلى ولديهما وشعرهما الذهبي، ورأت كم يحبّهما والدهما الملك، نسيت في الحال سنوات بؤسها الطويلة. أمّا الملك، فقد شعر بأنه عاجز عن أن يعوّض مليكته تلك الويلات التي مرّت بها، وولديه تلك المخاطر التي تعرّضا لها. وكان يشعر أنّه صدّق بسهولةٍ قصص الملكة العجوز، و لم يحمّل نفسه عناء أن يتقصى جيداً حقيقة تلك الأشياء الغريبة التي كانت تخبره بها وزيفها.

غير أنّ كلّ هذا الشعور بالذلّ والاضطراب والبؤس بلغ نهايته في آخر الأمر، وعاش الملك وزوجته، مع توأمهما ذهبي الشعر، في سعادة مديدةٍ وهناء.

Twitter: @ketab_n

# حُلُمُ ابن الملك

كان لملكٍ ثلاثةُ أبناء. وذات مساء، حين كان الأمراء الشبان في طريقهم إلى النوم، أمرهم الملك أن ينتبهوا لأحلامهم وأن يأتوا ويقصّونها على مسامعه في الصباح التالي.

وفي الغد مضى الأمراء إلى أبيهم ما إن استيقظوا، ولحظة وقعت أنظاره عليهم سأل أكبرهم: «حسنٌ، ما الذي حلمت به؟».

فأجاب الأمير: «حلمت بأنني أَرِث عرشك».

وقال الثاني: «وأنا حلمت بأنني رأس الرعيّة في المملكة».

وقال الأصغر: «حلمت بأنني ماضٍ لأغسل يديّ، وأنَّ الأميرين، أخويّ، يحملان الحوض، بينما الملكة، والدتي، تحمل مناشف فاخرة كي أنشّف بها يديّ، وجلالتك تصبّ الماء عليهما من إبريق ذهبي».

حين سمع الملك هذا الحلم الأخير غضب أشدّ الغضب، وصاح: «ماذا! أنا -الملك- أصبُّ الماء على يدي ولدي! اخرج من قصري في الحال ومن مملكتي! فلم تعد واحداً من أبنائي».

Twitter: @ketab_n

بذل الأمير الفتى المسكين كلّ ما في وسعه لاسترضاء والده، وقال إنّ اللائمة لا تقع عليه فيما أوتي في الحلم، لكن غضبة الملك ازدادت اضطراماً، وعمل في النهاية بالفعل على إلقاء الأمير خارج القصر.

هكذا اضطر الأمير الشاب لأن يهيم على وجهه في بلدان عدة، إلى أن جاء يوم، وكان في غابة واسعة، فرأى كهفاً، ودخله كي يرتاح. وما أدهشه وأفرحه كثيراً أنّه وجد هناك قِدراً مترعة بالذرة، تغلي فوق نار، ولأن الجوع كان يعضّه، راح يأكل الذرة، ويمعن في أكلها إلى أن راعه أن يرى أنه كاد أن يلتهم الذرة برمّتها، وخشي أن يلحق به سوء، فراح يبحث عن مكان يمكن أن يختبئ فيه. غير أنَّ جَلَبَةً عظيمة سُمِعَت في تلك اللحظة عند فم الكهف، و لم يكد يختبئ في ركن معتم حتى دخل شيخ أعمى يركب تيساً عظيماً ويسوق أمامه عدداً من التيوس.

سار الشيخ بركوبته حتى بلغ القِدْر، لكنه ما إن وجدها شبه فارغة حتى اشتبه في أنَّ أحداً هناك، وراح يفتش الكهف إلى أن أمسك بالأمير.

فسأله بحدّة: «من أنت؟»، فأجاب الأمير: «إنني هائم في هذه الدنيا، مسكين ومتشرّد، وقد أتيت منذ قليل لأرجوك أن تستقبلني». فقال الشيخ: «حسناً، لم لا؟ سوف يكون لديّ من يعتني بذُرتي بينما أكون مع تيوسي في الغابة».

Twitter: @ketab_n

هكذا عاشا معاً لبعض الوقت؛ الأمير يبقى في الكهف ليسلق الذرة، بينما يسوق الشيخ تيوسه كلّ صباح إلى الغابة.

غير أنَّ يوماً أتى، قال فيه الشيخ للأمير: «أحسب أن عليك أن تخرج اليوم بالتيوس، وسوف أبقى هنا لأُعنى بالذرة».

وافق الأمير على ذلك وسُرَّ له، لأنه كان قد تعب من العيش الرتيب في الكهف. لكن الشيخ أضاف: «انتبه إلى شيء واحد فحسب! ثمة جبال تسعة مختلفة، يمكنك أن تدع التيوس أن تمضي حرةً إلى ثمانية منها، أما التاسع فلا يمكنها أن تمضي إليه بأيّ حال من الأحوال. فالجنيات يعشن هناك، وسوف يقتلعن عينيك كما اقتلعن عينيّ، إذا ما تجرأتَ على جبلهن».

شكر الأميرُ الشيخ على تحذيره، ثم امتطى التيس الكبير، وساق البقية أمامه خارج الكهف.

تبع الأمير التيوس إلى أن مرّ بالجبال جميعاً إلى الجبل الثامن، ومن هناك كان بمقدوره أن يرى الجبل التاسع، و لم يستطع أن يقاوم ما شعر به من إغراءٍ أن يذهب إليه. فقال في نفسه: «سوف أغامر، وليكن ما يكون!».

و لم تكد قدما الأمير تطآن الجبل التاسع حتى أحاطت به الجنيات، وتهيأن لاقتلاع عينيه. لكنَّ فكرةً حسنة خطرت له فسارع إلى

Twitter: @ketab_n

القول: «أيتها الجنيات العزيزات، لماذا ترتكبن مثل هذه الخطيئة؟ من الأفضل أن نعقد صفقة، فإذا ما أمكنكن أن تثبن فوق شجرة سوف أضعها للقفز من فوقها، اقتلعن عيني، ولن ألومكن على ذلك!».

وافقت الجنيات، ومضى الأمير كي يحضر شجرة كبيرة، شقّها من وسطها إلى الجذر، ثمَّ وضع وتداً كي يبقى نصفا الجذع متباعدين قليلاً. وحين أقام هذا الجذع منتصباً، قفز من فوقه هو أولاً، ثم قال للجنيات: «والآن جاء دوركن. لنرَ إن كنتن قادرات على الوثب من فوق الشجرة!». حاولت إحدى الجنيات أن تثب، لكن الأمير نقر الوتد في اللحظة ذاتها، فانغلق الجذع في الحال على الجنية. عندئذٍ فزعت بقية الجنيات، وتوسلن إليه أن يفتح الجذع ويطلق سراح شقيقتهن، ووعدنه، بالمقابل، أن يعطينه أي شيء يطلبه. فقال الأمير: «لا أريد سوى الاحتفاظ بعيني، وإعادة البصر إلى العجوز المسكين». فأعطته الجنيات عشبة معينة، وقلن له أن يضعها فوق عيني العجوز، فيستعيد بصره. أخذ الأمير العشبة، وفتح الشجرة قليلاً ليطلق سراح الجنية، ثم ركب التيس متجهاً إلى الكهف، وأمامه بقية التيوس. وحين وصل إلى هناك سارع إلى وضع العشبة على عيني العجوز، و لم تنقضِ لحظة حتى استعاد هذا الأخير بصره، وسط دهشته وسروره.

وفي صباح الغد قبل أن يسوق العجوز تيوسه، أعطى الأمير مفاتيح حجرات الكهف التسع، لكنه حذّره ألا يفتح الحجرة

Twitter: @ketab_n

التاسعة مهما يكن الأمر، مع أن مفتاحها معلّق فوق الباب مباشرةً. ثم خرج، وهو يقول للأمير أن يحرص على أن تكون الذرة جاهزة على العشاء.

حين بقي الشاب وحيداً في الكوخ، راح يتساءل ما عساه يكون في الحجرة التاسعة، وفي النهاية لم يستطع أن يقاوم إغراء أن يتناول المفتاح ويفتح الباب ويرى.

ولقد أدهشه أن يرى هناك حصاناً ذهبياً، وإلى جانبه كلبٌ سلوقي ذهبي، وقربهما دجاجة وفراخ ذهبية منكبّة على نقر بذور الذرة الذهبية.

حدّق الأمير الشاب في كلّ ذلك لبعض الوقت، معجباً بجمال هذه الحيوانات، ثم قال للحصان الذهبي: «يا صديقي، أحسب من الأفضل لنا أن نغادر هذا المكان قبل أن يعود الشيخ».

فأجاب الحصان الذهبي: «حسناً، إنني لأرغب تماماً في أن أهرب، غير أن عليك أن تصيخ السمع لما سأقوله لك. اذهب وجِدْ ثوباً من الكتّان يكفي لنشره فوق الحجارة عند فم الكهف، لأنه إذا ما سمع الشيخ وقع حوافري فسوف يقتلك من غير شكّ. ثم إن عليك أن تأخذ معك حجراً صغيراً وقطرة ماء ومقصّاً، ولحظة أقول لك أن تلقيها تطيعني في الحال، كي لا تضيع».

Twitter: @ketab_n

فعل الأمير كلَّ ما أمره به الحصان الذهبي، ثم أخذ الدجاجة الذهبية وفراخها في كيس، وضعه تحت إبطه، وامتطى الحصان وأسرع به خارج الكهف، ومعه السلوقي الذهبي، وقد أمسك بالسلسلة التي ربطه بها. غير أنهم لحظة خروجهم إلى الهواء الطلق، سمع الشيخ وقع حوافر الحصان، مع أنّه كان بعيداً، يرعى تيوسه على جبلٍ بعيد، فصرخ لتيسه الكبير: «لقد هربوا. فلنذهب وراءهم في الحال».

وما هي إلا طرفة عين حتى اقترب الشيخ على تيسه الكبير من الأمير على حصانه الذهبي، فصاح هذا بالأخير: «ألقِ الآن بالحجر الصغير!».

وما إن ألقى الأمير بالحجر حتى ارتفع جبل صخري شاهق بينه وبين الشيخ. وقبل أن يتمكن التيس من تسلّق هذا الجبل، كان الحصان قد قطع مسافة كبيرة. غير أنه سرعان ما اقترب الشيخ ثانية وأوشك أن يمسك بهما، فصاح الحصان: «ألقِ الآن بقطرة الماء!»، فامتثل الأمير في الحال، فتدفق نهر عريض بينه وبين من يطارده.

استغرق اجتياز النهر من الشيخ على التيس وقتاً طويلاً، وكان الأمير على حصانه الذهبي قد ابتعد كثيراً، غير أنه لم يطل الوقت على الرغم من ذلك حتى سمع الحصان التيس خلفه، فصاح: «ألقِ

Twitter: @ketab_n

بالمقص». فألقاه الأمير، وحين اصطدم به التيس جُرِحَت إحدى قائمتيه الأماميتين جرحاً بليغاً. وما إن رأى الشيخ ذلك حتى صاح: «لم يعد بوسعي أن أمسك بك، فلتحتفظ بما أخذته. لكن من الحكمة أن تصغي إلى مشورتي. فالناس سيقتلونك من غير شكّ بسبب حصانك الذهبي، ولذلك من الأفضل أن تشتري في الحال حماراً، وتغطّي بجلده حصانك. وافعل الشيء ذاته بسلوقيك الذهبي».

وحين قال الشيخ ذلك، استدار متجهاً إلى كهفه؛ ولم يتلكّأ الأمير في تنفيذ نصيحته، فغطّى بجلد حمارٍ حصانه وكلبه الذهبيين.

وبعد سفرٍ طويل وصل الأمير فجأةً إلى مملكة أبيه. وهناك سمعَ أنَّ الملك قد حفر خندقاً –عرضه ثلاثمئة ياردة وعمقه أربعمئة ياردة– وأعلن أنَّ كلَّ من يعبره بحصانه، يمكنه أن يتزوج من ابنته الأميرة.

كان قد مرَّ على هذا الإعلان عامٌ كاملٌ تقريباً، دون أن يجرؤ أحد على المخاطرة باجتياز الخندق. وحين سمع الأمير بذلك، قال: «سوف أقفزه بحماري وكلبي!» وقفزُ.

غير أن الغضب تملك الملك حين سمع أنَّ رجلاً رثّ الثياب، على حمار، قد تجرأ على اجتياز الخندق العظيم الذي كان قد أرعب أشجع فرسانه، فأمر بأن يلقى الأمير المتنكر في أعمق

Twitter: @ketab_n

أقبيته، ومعه حماره وكلبه.

وفي صباح الغد أرسل الملك بعضاً من خدمه ليروا إن كان الرجل لا يزال على قيد الحياة، وسرعان ما عاد هؤلاء إلى الملك، متعجبين، وقالوا له إنهم وجدوا في القبو، بدلاً من الرجل البائس وحماره، شاباً في أبهى حلّة، وحصاناً ذهبياً، وسلوقياً ذهبياً، ودجاجة ذهبية، محاطة بفراخٍ ذهبية، تنقر عن الأرض حبوب الذرة الذهبية.

فقال الملك: «لابد من أن يكون هذا أميرٌ مقتدرٌ». وأمر الملكة وابنيه الأميرين، أن يعدّوا كلّ شيء للغريب كي يغسل يديه. ثم نزل بنفسه إلى القبو، وصعد بالأمير بكثير من المجاملة والاحترام، راغباً في أن يعوّض بذلك عن سوء معاملته السابقة.

وأخذ الملك نفسه إبريقاً من الذهب ممتلئاً بالماء، وصبَّ بعضاً منه على يدي الأمير، بينما أمسك الأميران بالحوض تحتهما، وحملت الملكة المناشف الفاخرة كي ينشّفهما بها.

وما إن تمّ ذلك، حتى صاح الأمير الشاب: «ها قد تحقق حلمي». فعرفه الجميع عندئذٍ، وسروا أشدّ السرور برؤيته بينهم من جديدٍ.

Twitter: @ketab_n

# الإخوة الثلاثة

كانت لشيخ عائلةٌ مؤلَّفة من زوجةٍ وثلاثة أبناء وابنة. وكانوا في ضنك شديد، ووجدوا أنَّ العيش معاً تحت سقف واحد بات مستحيلاً، فخرج الأبناء الثلاثة والابنة كلٌّ في اتّجاه من هذه الدنيا يسعون وراء رزقهم. وبقي الشيخ وزوجته وحدهما.

و لم يكن لدى الشيخ خيل أو ثيران، فكان مضطراً أن يمضي كلَّ يوم إلى الغابة كي يجلب الحطب، حاملاً إيّاه على ظهره.

وفي مرّة كان المساء على وشك أنّ يحلّ حين انطلق باتجاه الغابة، بينما راحت زوجته التي خشيت أن تظل وحيدة في البيت، تتوسّل إليه أن يسمح لها بالذهاب معه. فرفض في البداية، لكن توسّلاتها الملحة المتواصلة جعلته يوافق آخر الأمر على أن تلحق به، إنّما بعد أن تؤمِّن الباب كي لا يقتحم البيت أحدٌ.

وحسبت العجوز أنَّ الباب يُؤمَّن على أفضل وجه إذا ما نزعته من مفصلاته، وحملته على ظهرها. فنزعته ولحقت بزوجها بأسرع

Twitter: @ketab_n

ما تستطيع. غير أنَّ الشيخ لم يغضب حين رأى كيف أساءت فهمه، والطريقة التي اختارتها لتأمين الباب؛ ذلك أنَّ البيت، كما فَكّرَ، لم يكن فيه سوى القليل أو لم يكن فيه شيء ليُسْرَق.

وحين وصلا إلى الغابة راح الزوج يقطع الحطب، في حين أخذت زوجته تجمع الأغصان في كومة. وفي هذه الأثناء كان الوقت قد تأخّر، وتملّكهما القلق كيف يقضيان الليلة، وبيتهما أبعد من أن يبلغاه قبل الصباح، ولم يكن ثمة بيوت في الجوار يمكن أن يرقدا فيها. وفي النهاية لاحظا وجود شجرة صنوبر وارفةً، وقررا أن يتسلقاها ويقضيا الليل على واحدٍ من أغصانها.

صعد الرجل أولاً، ثم تبعته زوجته، وهي تجرّ الباب خلفها بصعوبةٍ بالغة. ونصحها زوجها أن تترك الباب على الأرض تحت الشجرة، لكنها لم تُصْغِ إليه، ولم تقنع بأن تبقى على الشجرة من دون باب بيتها. ولم يكادا يستقران فوق غصنٍ، والمرأة العجوز متشبثة بالباب، حتى سمعا جلبةً عظيمةً، راحت تقترب شيئاً فشيئاً.

ولقد أدخلت هذه الجلبة أشد الخوف في قلبيهما، فلم يجرؤا على الكلام أو الحركة.

ولم يمض وقت طويل حتى ظهر لهما زعيم لصوص، يتبعه

Twitter: @ketab_n

اثنا عشر رجلاً من رجاله، وهم يقتربون من الشجرة، واللصوص يرتدون جميعاً لباساً موحداً موشىً بالذهب والفضة، وواحدٌ منهم يحمل خروفاً مذبوحاً وجاهزاً للشيّ. وحين رأى العجوزان عصابة اللصوص تقترب وتجلس تحت شجرة الصنوبر التي اتخذا منها ملجأً حسبا أنَّ نهايتهما قد أزفت، وانقطع لديهما حبل الرجاء.

وما إن جلس اللصوص، حتى أضرم أصغرهم ناراً وراح يشوي الخروف، بينما أخذ الزعيم يجاذب الآخرين أطراف الحديث. وكان الخروف قد شوي وقُطِّع، وبدأ اللصوص بالتهامه بسرورٍ عظيم، حين قالت العجوز لزوجها إنّه لم يعد بمقدورها أن تتشبّث بالباب، وإنها مضطرة أن تدعه يسقط. فتوسّل إليها الشيخ ذلك التوسل الذي يفطر القلوب ألاّ تدع الباب يسقط، وأن تتمسّك به وتبقى هادئةً، لئلا يراهما اللصوص ويفتكوا بهما. غير أنَّ العجوز قالت إن التعب قد بلغ منها كل مبلغ فلم يعد بها أيّة قدرة على التمسّك بالباب. وإذ رأى زوجها أنَّ الكلام بلا فائدة، وأنه لا يستطيع أن يبقى ممسكاً بزاويته من الباب حين تترك زاويتها، أعلن أنّه لم يعد ثمة متسع للشكوى، لأنَّ «ما سيحصل سيحصل، ولا فائدة من الأسف على أيّ شيء في هذه الدنيا»، كما قال. وهكذا أرخى كلاهما معاً قبضتيهما،

Twitter: @ketab_n

فهوى الباب، محدثاً جلبةً عظيمة -خاصةً قفله الحديدي- وهو يسقط من فرع إلى آخر.

أحدث الباب جلبةً عظيمة في سقوطه، حتى إنّ أصداء ذلك راحت تتردد في أرجاء الغابة.

أما اللصوص فقد اعتراهم لتلك الجلبة ذهول عظيم، وخافوا من ذلك الارتطام المفاجئ فوق رؤوسهم ذلك الخوف الذي منعهم من أن يروا السبب، ففروا هاربين، دون أن يفكروا بالخروف المشوي الذي تركوه خلفهم، أو بأيّ من الكنوز التي جلبوها معهم. لكن واحداً من بينهم لم يبتعد كثيراً عن تلك البقعة، بل اختبأ خلف شجرة، وانتظر ليرى ما عساه يكون مصدر تلك الجلبة.

وإذ رأى العجوزان أنَّ اللصوص لم يعودوا، نزلا عن الشجرة، وراحا، من جوعهما الشديد، يأكلان بنهمٍ وشراهة؛ والشيخ يمتدح حكمة زوجته في إلقاء الباب.

وحين رأى الرجل المختبئ أنّه ليس ثمة سوى عجوزين قرب النار، دنا منهما، ورجاهما أن يسمحا له بأن يشاركهما الطعام، لأنه لم يذق طعم الزاد منذ أربع وعشرين ساعة مضت. فسمحا

Twitter: @ketab_n

له، وتبادلا معه الأحاديث في شتّى الأمور، إلى أن قال الشيخ فجأة للصّ: «انتبه! ثمة شعرة على لسانك! لا تغصّ وتختنق فلا وسيلة لدي لأدفنك هنا!».

أخذ اللص هذه المزحة على محمل الجدّ، ورجا الشيخ أن يخرج الشعرة من فمه، وسوف يريه بالمقابل كهفاً خبئ فيه كنزٌ عظيم. وبينما هو يصف أكوام الذهب العظيمة من الدوقاتيات والتاليرات والشلنات، وغيرها من العملات التي قال إنها في الكهف، قاطعته المرأة العجوز، قائلةً: «سوف أخرج الشعرة من فمك دون مقابل! فقط مدّ لسانك وأغلق عينيك!». ففعل اللص ما قالته بكل سرور بينما أخذت العجوز سكيناً وقطعت في لحظةٍ جزءاً من لسانه. ثم قالت: «حسناً! لقد أخرجت الشعرة الآن!» وحين استشعر اللص ما فُعِلَ به راح ينطّ من الألم، وفي النهاية فرّ، تاركاً قبعته ومعطفه، في الوجهة التي مضى بها زملاؤه، وهو يصرخ طيلة الوقت: «ساعدوني! ساعدونيّ أعطوني شريطاً لاصقاً!»، وحين تناهت هذه الكلمات إلى مسامع زملائه غير واضحةٍ، أساؤوا فهمه، وظنّوا أنه يقول لهم: «ساعدوا أنفسكم؛ هنا رئيس الشرطة!»، خاصةً أنه كان يعدو كأنّ رئيس الشرطة ومعه قوة كبيرة يعدون في أعقابه. وهذا ما دفع بقية اللصوص لأن يفرّوا بأسرع ما يستطيعون إلى أبعد ما يمكنهم.

Twitter: @ketab_n

في هذه الأثناء حسب الزوجان أنّه لم يعد من الآمن البقاء تحت شجرة الصنوبر، فجمعا بسرعة كلّ ما استطاعا حمله من المال، سواء كان ذهباً أم فضة، وأسرعا عائدين إلى البيت. وحين وصلا وجدا أن دجاجات الجيران قد سحبت قشّ السقف، لكن ذلك لم يكن مدعاةً لأي أسف، بعد أن بات لديهما من المال ما يكفي لبناء بيت آخر أجمل من الأول. وهذا ما فعلاه، حيث عاشا في البيت الجديد الجميل دون أن يتذكرا ولو مرّة أولادهم الذين أمضوا ما يقارب السنوات التسع هائمين على وجوههم في هذه الدنيا.

وفي هذا الوقت كان الأبناء والابنة يعملون كلٌّ في ناحية من نواحي الدنيا. غير أنّهم حين أكملوا السنوات التسع بعيداً عن البيت، تملّكتهم جميعاً، كما لو أنّه باتفاق، رغبة ملحّة في أن يعودوا مرّة أخرى إلى بيت أبيهم. فحملوا جميع ما ادّخروه خلال هذه السنوات من الخدمة، وانطلق كلٌّ منهم في رحلة العودة إلى البيت.

أثناء عودته، التقى الابن الأكبر ثلاثةً من الغجر، كانوا يعلّمون الرقصَ دبّاً صغيراً بوضعه فوق صفيح ملتهب. فأشفق على هذا المخلوق الذي يتألم، وسأل الغجر عمّا يدفعهم إلى تعذيب الحيوان على هذا النحو. وقال لهم: «من

Twitter: @ketab_n

الأفضل أن تعطوني إياه، وسوف أعطيكم بالمقابل ثلاث قطع من الفضة!». تحمّس الغجر لهذا العرض، فأخذوا قطع الفضة الثلاث وأعطوه الدبّ. وفي الطريق التقى بعض الصيادين الذين أمسكوا بذئب صغير، وكانوا على وشك أن يقتلوه. فعرض عليهم، أيضاً، ثلاث قطع من الفضة ثمناً لهذا الحيوان، فسرّهم ذلك كثيراً. وبعد قليل التقى بعض الرعاة، كانوا على وشك أن يشنقوا كلباً صغيراً. فأسف لحال هذا الحيوان المسكين، وعرض عليهم قطعتين من الفضة مقابل إعطائه الكلب، وهذا ما وافقوا عليه بكلّ سرور.

وهكذا واصل رحلته إلى البيت، يرافقه الدَّيْسَم والدَّغْفَل والجرو. ولأنّ مدّخراته خلال السنوات التسع لم تزد على تسع قطع من الفضة، لم يعد معه الآن سوى قطعة واحدة.

وقبل أن يصل بيت والده التقى بعض الأولاد الذين كانوا على وشك إغراق قطة. فعرض عليهم هذه القطعة الأخيرة من النقود مقابل إعطائه القطة، فوافقوا على هذه الصفقة وأعطوه إياها. وبذلك فقد وصل إلى بيت أبيه، في النهاية، خالي الوفاض تماماً، ومعه دبٌّ وذئبٌ وكلبٌ وقطة.

وهذا بالضبط ما حدث للأخوين الآخرين. فلم يدّخرا من

Twitter: @ketab_n

أعوام عملهما التسعة سوى تسع قطع من الفضة، وفي طريق عودتهما إلى البيت أنفقوها جميعاً في افتداء حيوانات، تماماً كما فعل الأخ الأكبر.

أما الأخت، فلم توفّر، من سنوات خدمتها التسع، سوى خمس قطع من النقود. وفي طريق عودتها إلى البيت التقت قنفذاً كان يشتري من فأرٍ أسنانه الحادّة، مقدِّماً إزاءها أسنانه العظميّة إضافةً إلى قطعتين من النقود.

وحين أصغت قليلاً إلى مساومتهما، قالت للفأر: «يا فأري الصغير العزيز، إنني أعرض عليك أسنان القنفذ وثلاث قطع من الفضة علاوةً عليها!».

وافق الفأر في الحال على هذه الصفقة. فأمسكت بالقنفذ، ونزعت أسنانه، وأعطتها، مع قطع الفضة الثلاث، للفأر، الذي أعطاها أسنانه الحادّة بالمقابل.

غير أنّها حين واصلت رحلتها راحت تشكّ في أنّ الفأر قد خدعها. ولكي تتحقق من ذلك قررت أن تجرّب الأسنان، وحين ابتعدت قليلاً إلى جانب الطريق وجدت شجرة بلوط ثخينة راحت تعضّ عليها. وبدا لها أنها لم تكد تبدأ بقضم الشجرة

Twitter: @ketab_n

حتى أخذت تهتّز، كأنها ستسقط. وحين رأت ذلك، اقتنعت أنّ ما حصلت عليه هو أسنان حادّة حقاً، فمضت في رحلتها راضية تماماً.

وقبل أن تصل إلى بيت أبيها رأت فأراً يسنّ أسنانه على حجر، فرَجَتْهُ أن يعطيها هذا الحجر لتسنّ أسنانها هي أيضاً. لكن الفأر رفض أن يفعل ذلك إلا مقابل بنسين. فلم تتردد في إخراج آخر قطعتين من النقود وإعطائهما للفأر، الذي أعطاها الحجر بالمقابل كي تسنّ عليه أسنانها.

غير أنّها، حين استأنفت رحلتها بعد ذلك، راحت تفكّر ما عساها تقول حين يسألها والداها وأخوتها أين كانت، وكم وفّرت خلال السنوات التسع التي قضتها بعيداً.

وحين وصلت إلى البيت وجدت أخوتها الثلاثة هناك مع كنوزهم؛ أي مع دببتهم وذئابهم وكلابهم، وقططهم. وكان من حسن حظها أنَّ أخوتها لم يسألوها كم وفّرت، لأنهم كانوا على ثقةٍ من أنها قد ادخرت الكثير. واكتفوا بسؤالها عن صحتها ورحلتها، وسُرَّ الجميع بالتئام شملهم كعائلة من جديد.

غير أن هذا السرور لم يدم طويلاً. فبعد عودتهم بقليل، توفي

Twitter: @ketab_n

الوالد المسنّ، فتشاور الإخوة الثلاثة معاً، وقرروا أن يشتروا بجزء من المال الذي حصل عليه أبوهم وأمهم من اللصوص، ثلاثة جياد ومرعى.

لكن أمورهم لم تَجْرِ سلسةً. فذات صباح، لم يجدوا في الإصطبل سوى حصانين بدلاً من ثلاثة، وكان الحصان الثالث مقتولاً. ذلك أنَّ شيئاً ما كان قد عضّه وامتص دمه، والتهم نصفه! وكان هذا الحصان المقتول أجود الثلاثة. حينئذ قرر الأخوة الثلاثة للمستقبل أن يحرسوا الإصطبل كلّ ليلة. وحين حلّ الليل، تشاوروا من يحرس أولاً، وقال الأصغر: «أنا سوف أحرس». ومضى إلى الإصطبل، بعد أن تعشّى، كي ينام هناك. وحوالي منتصف الليل جاء إلى الإصطبل مخلوق كلّه أبيض بأبيض، ووثب في الحال على الحصان الأصغر وراح يلتهمه. وحين رأى الأخ الذي يحرس هذا المنظر، تملّكه الرعب؛ حتى إنه خرج من ثقب في السقف، من دون أن يفكر في أن يجد الباب. وفي فراره هذا، قتل الوحش الحصان وامتص دمه والتهم نصفه.

وفي اليوم التالي، حين رأى الأخوان الأكبران ما جرى، راحا يندبان الخسارة التي أحاقت بهم. وفي الليل قال الأكبر للأوسط: «امضِ الآن واحرس جيداً، فحصانك الذي يتهدده الخطر!».

Twitter: @ketab_n

فذهب الأخ الأوسط في الحال إلى الإصطبل ورقد هناك. وفي منتصف الليل، من جديد، جاء الشيء الأبيض، فقفز الحارس، وقد تملكه من الرعب ما تملّك أخاه من قبله، وفرّ مثله تماماً. أما الوحش الذي عضّ الحصان، فراح يمتصّ دمه، ويلتهم نصفه.

وفي الصباح، حين رأى الأخ الأكبر ما جرى، قال إنّه سيحرس في الليل الحصان الباقي. فمضى في الليل إلى الإصطبل، وقدّم لحصانه كثيراً من التبن، ثم اتّخذ ركناً وراح يراقب. وحوالي منتصف الليل، جاء المخلوق الأبيض من جديد. وفي البداية ارتعب الأخ الأكبر لمجيئه، لكنه سرعان ما استجمع قواه ووقف، كاتماً أنفاسه، ليرى ما يحصل.

رأى أنّ الشيء الأبيض يبدو شبيهاً بأخته، ويحمل في يده مسنّاً حجرياً. وحين أتى هذا الوحش إلى الحصان عضّه، وامتص دمه، وبعد أن التهم نصفه، غادر الإصطبل. وطوال هذا الوقت بقي الأخ الأكبر هادئاً، لم يحرّك ساكناً. ولعلّه فعل ذلك من شدّة الخوف، وربما لأنه قرر أن يبقى هادئاً، مهما جرى.

وفي صبيحة اليوم التالي، حين رأى الأخوان الأصغران أنّ الحصان قد قُتل والتُهِمَ نصفه، في نوبة حراسة أخيهما الأكبر، راحا يضحكان ويسخران من خسرانه. لكنه قال لهما إنّه قد

Twitter: @ketab_n

عرف ما لم يعرفاه: من الذي قتل الجياد والتهمها؛ لكن عليهما ألا يفوها ببنت شفة عن هذا الأمر لأيّ أحد. ثم أخبرهما أنّ أختهم هي التي قتلت جيادهم وامتصت دماءها. ولقد رفضا في البداية أن يصدقا ذلك، لكنهما سرعان ما اقتنعا بأنّها الحقيقة. وقد جاء البرهان على النحو التالي.

ذات صباح خرج الأخوان الأكبران إلى العمل في الحقل، وبقي الأخ الأصغر في البيت. وكذلك بقيت أختهم في البيت، إنّما من دون أن تعلم أنّ أخاها الأصغر قد بقي أيضاً. وكان الأخ الأكبر لدى خروجه قد طلب من الأصغر أن يضع الماء في القِدْر ويغليها على النار، وأن يواصل تأجيج النار تحتها. فإذا ما تحوّل الماء إلى دماء عليه أن يفتح القبو على الفور ويطلق كلباً صغيراً ويأمره بأن يتبع الطريق التي سلكاها إلى الحقل.

وعندما خرج الأخوان الأكبران، مضى الأصغر ليتمشّى في الفناء، ولدى عودته سمع جلبةً عظيمة وعويلاً في البيت. فاتجه إلى باب البيت وقفله بالمفتاح؛ وما الذي تحسبون أنّه رآه؟ كانت أخته قد ذبحت أمّها العجوز، وتوشك أن تشكّها في سفود لتشويها. وحين رأى ذلك، مَلَكه رعبٌ شديد، وأسرع يختبئ خلف برميل كبير كان في المطبخ.

Twitter: @ketab_n

بعد ذلك بقليل أخرجت أخته السفّود خارج البيت، ووضعته على النار لتشويه[1]، وهي تقول بصوت مرتفع: «سأفعل الشيء ذاته بإخوتي الثلاثة، واحداً إثر الآخر، وبذلك أبقى وحدي سيدة هذه الأملاك جميعاً».

وحين نضج الشواء، حملت السفود وعليه اللحم إلى الغرفة، وأسندته إلى الجدار، ثم جلبت المسنّ الحجري وبدأت تسن أسنانها. وفي لحظة دخولها إلى البيت، قفز الأخ الأصغر من مخبئه واندفع صوب الباب، وراح يراقب من الخارج ما كانت تفعله. وحين رأى ذلك، ملأ القِدْر وأجّج النار، ثم اختبأ قرب الموقد. أما أخته، بعد أن سنّت أسنانها، فقد التهمت جثة أمها، جميعاً ما عدا الرأس. وبعد أن أنهت وجبتها، خرجت إلى المطبخ والرأس في يدها. وحين رأت النار متأججةً، والقِدْر ممتلئة بالماء، غضبت، وراحت تتطلع إن كان أحد في البيت. فقد اشتبهت أن يكون أحد من أخوتها هناك، وراحت تصرخ، وتنادي إخوتها بأسمائهم، وتفتش في كلّ مكان في البيت. غير أنها نسيت، لحسن حظها، أن تفتش قرب الموقد، حيث اختبأ أخوها الأصغر. وحين لم تجد أحداً في البيت، أخذت رأس أمها في يدها وخرجت راكضة، سالكة الطريق التي يسلكها أخوتها

(1) عادةً ما يكون المطبخ في قرى صربيا والبوسنة خارج المنزل (المؤلف).

Twitter: @ketab_n

في ذهابهم إلى الحقل. وبينما هي تركض كانت تصرخ: «انتظر! لا تحسب أنك قد نجوت مني!».

حين رأى الأخ الأصغر أنّ أخته راحت تركض، خرج من مخبئه لينظر الماء في القِدْر. فرأى أن الماء قد تحوّل إلى دماء، فأسرع إلى القبو وأفلت واحداً من الجراء التي كانت أخته تخشاها أكثر مما تخشى جميع إخوتها.

وحين أفلت الأخ الأصغر الجرو، عاد إلى القِدْر، ليرى ما يجري للماء على النار. وفي هذا الوقت كان الماء الذي تحوّل إلى دماء، يغلي ويفور ويُبَقْبِق؛ وكلما بَقْبَقَ أكثر كانت الأخت تزداد اقتراباً من أخويها في الحقل. غير أنها، حين لم يعد يفصلها عنهما سوى خطوات خمس، سمعت فجأة صوتاً، كأنّ أحداً كان يعدو خلفها، فالتفتت لتنظر، وحين رأت الجرو ارتعبت، وحاولت أن تنجو بنفسها بتسلق شجرة قريبة. لكنها حين تمسّكت بواحد من الأغصان، انكسر في يدها، وسقطت على الأرض، وفي اللحظة ذاتها انقضّ عليها الجرو، وعضّها فقسمها قطعتين. ورأى الأخوان ذلك كلّه، لكنهما لم يقتربا منها خشية أن تعود إلى الحياة من جديد وتهاجمهما. غير أنهما سرعان ما اقتنعا بأنها قد قضت حقاً، وهما يريان الكالجرولب يمزقها إرباً،

Twitter: @ketab_n

فاقتربا من البقعة حيث كانت، وأخذا جثتها ودفناها، مع رأس والدتهما، تحت الشجرة التي سقطت منها.

وبعد أن أتما ذلك، عاد الأخوان إلى البيت، وأخبرا أخاهما الأصغر بكلّ ما جرى. وحكى لهما، بدوره كيف تحوّل الماء المغلي إلى دماء وراح يفور ويبقبق بسرعة في البداية، إلى أن هدأ بعد فترة، ثم عاد ماءً في النهاية. عندئذٍ هنّأ الأخوة الثلاثة أنفسهم على التخلّص من أختهم الرهيبة. وبعد بضعة أيام خرجوا جميعاً إلى الحقل ليجلبوا التبن الذي جمعه الأخوان الأكبران. لكنهم لم يجدوا كومة التبن الثالثة التي كانوا قد تركوها. فتعجبوا لذلك كثيراً وراحوا ينظرون إن كان أحد قد سرقها؛ وحين لم يجدوا أحداً، أخذوا ما تبقى وعادوا إلى البيت.

أخيراً انصرمت السنة التي وقع فيها كلّ هذا السوء. غير أنهم لم يجرؤوا في السنة التالية أن يتركوا تبنهم من غير حراسة. فتداولوا فيما بينهم من يحرس أولاً. وعرض كلٌّ واحد منهم أن يقوم بذلك، لكنهم اتفقوا في النهاية على أن يبدأ الأخ الأصغر الحراسة. فاستعدّ هذا الأخير، وفي الليل مضى إلى الحقل. وحين وصل، تسلّق الشجرة التي دُفن تحتها جثمان أخته ورأس والدته، وقرر أن يبقى هناك حتى طلوع الفجر. وحوالي منتصف الليل

Twitter: @ketab_n

سمع جلبة وصياحاً عظيمين، أفزعاه كثيراً فلم يجرؤ أن يحرّك ساكناً. فقد جاءت مخلوقات إلى الحقل والتهمت معظم التبن، وما لم تلتهمه ذرته وأفسدته، فلم يعد صالحاً لشيء. وحين انبلج الصبح، نزل الأخ الأصغر من الشجرة وعاد إلى البيت ليخبر بما رأى. هكذا قضوا تلك السنة من غير تبن.

وفي السنة التالية، حين جاء وقت الحصاد، تشاور الإخوة الثلاثة فيما بينهم كيف يحفظون تبنهم. فتطوع الأخ الأوسط عندئذٍ لحراسة الحقل، وبدا واثقاً كلَّ الثقة من قدرته على حماية التبن. فمضى، وتسلّق الشجرة، كما فعل أخوه في السنة الفائتة. وحوالي منتصف الليل جاءت ثلاثة جياد مجنّحة إلى الحقل مع فريق من الجنيّات. وراحت الجياد المجنّحة تلتهم التبن الذي جُمعَ حديثاً، والجنيات يرقصن فوقه. وبعد أن التهمت الجياد القسم الأكبر من التبن، وأُفسد القسم الباقي برقص الجنيات فوقه، غادر الجميع الحقل، ما إن بدأ الفجر يبزغ. ولقد شاهد الحارس في الشجرة كلّ هذا، لكنه كان يرتعد خوفاً فلم يكد يحرّك ساكناً. وحين عاد إلى البيت، أخبر أخويه بكل ما رآه؛ وحزن الجميع، لأنهم سيفتقرون إلى التبن هذه السنة أيضاً.

لكن الأيام مرّت، وجاء الصيف الثالث. ومن جديد جزَّ

Twitter: @ketab_n

الإخوة الثلاثة العشب في مرجهم، وتشاوروا معاً وهم في أشدّ القلق كيف يحفظون تبنهم الجديد.

واستقر الأمر في النهاية على أنّه قد جاء دور الأخ الأكبر في الحراسة. واتُّفِقَ على أنّه، إذا ما أخفق هو أيضاً في حراسة التبن، فلا بد من اقتسام القليل الذي يملكونه فيما بينهم، ليمضوا جميعاً في هذه الدنيا، كلٌّ على حدة، يجربون حظوظهم، بعد أن رأوا أنَّ لا حظّ لهم في بلدهم.

وكما اتُّفق، ذهب الأخ الأكبر إلى الحقل في الليل؛ لكنه، بدلاً من أن يتسلق الشجرة كما فعل أخواه، استلقى بهدوء على كومةٍ من التبن، وانتظر ليرى ما يحدث. وزهاء منتصف الليل سمع جلبة عظيمة، قادمة من بعيد، و لم يلبث فريق من الجنيات، معهن ثلاثة جياد مجنّحة، أن اتجه مباشرة إلى حيث يرقد. وما أن وصل إلى هناك، حتى بدأت الجنيات بالرقص، والجياد تلتهم التبن وتخبّ فوقه. نظر الأخ الأكبر، وشعر بالخوف أول الأمر، وتمنّى من كل قلبه أن تمضي هذه الثلّة جميعاً من دون أن تراه. غير أنها بدت غير متعجلةٍ الذهاب، مما دفعه لأن يفكّر فيما يفعله، وقرر في النهاية أنه يجدر به أن يحاول الإمساك بواحد من الجياد الثلاثة. وعندما دنت منه، قفز على صهوة أحدها، وتشبّث به.

Twitter: @ketab_n

أمّا الحصانان الآخران فقد فرّا على الفور وكذلك الجنيات.

لم يترك الحصان الذي أمسك به الأخ الأكبر حذاقة إلا وجرّبها ليطرح أرضاً ذلك الراكب المُسْتَثْقَل، لكنه لم يفلح. وحين وجد أنّ جميع محاولاته لتحرير نفسه بلا جدوى، قال أخيراً: «أفلتني، أيها الرجل الطيب، وسوف أنفعك ذات مرة». فأجاب الرجل: «أفلتك بشرط واحد؛ أن تعدني بألا تأتي قطّ إلى هذا الحقل؛ وأن تعطيني ضمانةً أنك ستحفظ عهدك».

وافق الحصان مسروراً على هذا الشرط، وأعطى الرجل شعرةً من ذيله، قائلاً: «متى كنت في حاجةٍ، ألق بهذه الشعرة في النار، فأكون في خدمتك على الفور».

وهكذا أُطلق الحصان، وعاد الأخ الأكبر إلى البيت. وكان أخواه ينتظران عودته على أحرّ من الجمر، وحين رأياه، ألحّا عليه أن يقصّ عليهما كل ما جرى. فحكى لهما كلَّ شيء، سوى أنّه أخذ شعرة من ذيل الحصان، لأنه لم يصدّق أن الحصان سوف يحفظ عهده ويأتي إليه عندما يحتاج إليه. ولم يكن الأخوان الأصغران واثقين من أنّ الجنيات والجياد المجنّحة سوف تصدق وعدها فلا تعود قط إلى العيث فساداً في حقل التبن، فاقترحا القسمة. وحاول الأخ الأكبر أن يبقيهما سنة أخرى على الأقل،

Twitter: @ketab_n

ليروا ما يحدث، لكنه لم يفلح في ذلك. فاقتسموا ما بقي من أملاك، وأخذ كلٌّ حيواناته؛ دبه وذئبه وكلبه وقطته، وتركوا البيت من جديدٍ ساعين وراء حظوظهم في هذه الدنيا.

في اليوم الأول سافروا معاً، لكنهم اضطروا في اليوم الثاني أن ينفصلوا، لأنهم حين وصلوا إلى مفترق، وحاولوا أن يسلكوا الدرب ذاته، وجدوا أنّه من غير الممكن أن يخطوا خطوةً واحدةً إلى الأمام ما داموا معاً. فتركوا ذلك الدرب وجربوا آخر؛ لكن عبثاً، لأنهم لم يستطيعوا أن يتقدّموا خطوة واحدة ما داموا معاً؛ وحين جربوا الدرب الثالث، حصل الشيء ذاته أيضاً. فجرّبوا إذا ما كان لاثنين منهم أن يسلكا الدرب ذاته إن تقدّم واحد وسار وراءه الآخر، لكن ذلك أيضاً كان مآله الفشل، و لم يتمكنوا من التقدّم خطوة واحدة، مهما فعلوا، فلم يبق أمامهم سوى أن ينفصلوا ويذهب كلٌّ منهم في طريق مختلف. فأسفوا لذلك أشدّ الأسف، و لم يكن في اليد حيلة.

وقبل انفصال هؤلاء الإخوة، قال الأكبر: «والآن، يا أخوتي، دعونا، قبل أن نفترق، نغرز سكاكيننا في شجرة البلوط هذه؛ فتبقى حيث غرزناها ما دمنا أحياء؛ فإذا مات أحدنا سقطت سكينه. ولنأتِ إلى هنا كلّ ثلاث سنوات لنرَ إن كانت السكاكين

Twitter: @ketab_n

لا تزال في أماكنها. وبذلك نعلم شيئاً، على الأقل، واحدنا عن الآخرين». فوافق الآخران على هذا، وغرزوا سكاكينهم في شجرة البلوط، وقبّلوا بعضهم بعضاً، ومضوا، كل في طريقه، وحيواناته معه.

دعونا نتتبع أولاً الأخ الأصغر في أسفاره ورحلاته. فقد واصل السفر، مع حيواناته التي ترافقه، طيلة النهار والليل دون توقّف، وفي اليوم التالي رأى أمامه قصر ملك، فمضى باتجاهه مباشرةً. وحين أوقِفَ في حضرة الملك، رجا جلالته أن يستخدمه في رعي ماعزه. فوافق الملك على تعيينه راعياً للماعز، فتولى منذ ذلك اليوم ماعز الملك وعاش على ذلك النحو الهادئ فترةً طويلة.

وصادف ذات يوم أن ساق راعي الماعز الجديد قطيعه إلى تلٍّ مرتفعٍ، غير بعيدٍ عن قصر الملك. وعلى قمة التلّ كان ثمة شجرة صنوبر باسقة، ما إن رآها حتى قرر أن يتسلقها ويتطلع من ذروتها إلى الريف المحيط. فتسلق إلى هناك، واستمتع أيّما استمتاع بالمنظر الشاسع الجميل. وحين نظر في اتجاهٍ بعينه رأى، على البعد، دخاناً عظيماً يتصاعد من جبلٍ. وما إن رأى الدخان حتى توهّم أنَّ واحداً من أخويه لا بدّ أن يكون هناك،

Twitter: @ketab_n

إذ حسب أنّ من غير المحتمل أن يكون أحدٌ ما آخر في تلك البرية. فقرر في الحال أن يترك رعي الماعز، ويمضي إلى الجبل الذي رآه على البعد. فنزل من الشجرة، وأسرع بجمع قطيعه، الأمر الذي تمّ بسهولة بالغة، نظراً للعون الطيب الذي أسداه له دبّه وذئبه وكلبه وقطته.

وما إن وصل إلى القصر حتى ذهب إلى الملك رأساً وقال: «سيدي، لم يعد بوسعي أن أكون راعياً لماعزك. عليّ أن أذهب، لأني رأيت اليوم جبلاً يتصاعد منه الدخان، وأحسب أنّ واحداً من أخويّ هناك، وأودّ أن أذهب وأرى إنْ كان الأمر كما أقول. لذلك أرجو جلالتك أن تعطيني حقي، وتدعني أمضي!». وكان طيلة هذا الوقت يعتقد أن الملك لا يعلم شيئاً عن الجبل الذي يتصاعد منه الدخان.

غير أنّه حين انتهى من كلامه هذا، راح الملك يسدي إليه النُصح ألا يذهب إلى الجبل بأي حال من الأحوال، لأنّ كلّ من ذهب، كما أكّد له، لم يعد قطّ. وقال له إنّ الأرض قد انشقّت وابتلعت كلّ من ذهب إلى هناك على ما يبدو، لأن أحداً لم يسمع عنهم شيئاً بعد ذلك. بيد أن تحذيرات الملك ونصائحه جميعاً لم تُجدِ نفعاً، فقد كان راعي الماعز عازماً على الذهاب إلى الجبل

Twitter: @ketab_n

الذي يتصاعد منه الدخان، والبحث عن أخويه.

فانطلق بعد أن أعدّ العدّة للسفر، ترافقه، كالمعتاد، حيواناته الأربعة. ومضى إلى الجبل رأساً. لكنه حين وصل إلى هناك، لم يستطع في البداية أن يجد النار، بل إنه عانى الكثير قبل أن يكتشف مكانها. إلا أنه وجد في النهاية ناراً كبيرة تشتعل تحت شجرة زان، فاقترب منها كي يتدفأ. وراح ينظر في الوقت ذاته في كلّ اتجاه ليرى من الذي أضرم النار. وبعد قليل سمع صوت امرأة، وحين رفع رأسه لينظر مصدر الصوت، رأى عجوزاً جالسة على غصن فوق رأسه، وقد تكوّمت على نفسها، ترتجف من البرد.

وما إن وقع بصره عليها حتى رجته العجوز أن يدعها تنزل إلى النار وتتدفّأ قليلاً. فقال لها إن بمقدورها أن تنزل وتتدفّأ كما تشاء. لكنها ردّت، قائلةً: «آه، يا بني، لا أجرؤ على النزول بسبب رفقتك. فأنا أخاف الحيوانات التي معك، دبّك، وذئبك، وكلبك، وقطتك».

حاول عندئذٍ أن يطمئنها وقال: «لا تخافي! فلن تؤذيك». غير أنها لم تثق به، وانتزعت شعرة من رأسها وألقتها إلى الأسفل، قائلة: «ضع هذه الشعرة على رقابها فلا أعود أخشى النزول».

أخذ الرجل الشعرة وألقاها على الحيوانات فتحولت الشعرة

Twitter: @ketab_n

في الحال إلى سلسة حديدية أحكمت القيد على تابعيه الذين يمشون على أربعة.

وحين رأت العجوز أنّه فعل ما أرادت، نزلت عن الشجرة وأخذت مكانها قرب النار. ولقد بَدَتْ أول الأمر امرأة بالغة الضآلة، لكنها حين جلست إلى النار بدأت تكبر. وحين رأى الرجل ذلك دُهِشَ كثيراً، وقال لها: «يبدو لي، يا عجوزي، أنك تكبرين شيئاً فشيئاً!»، فأجابت، وهي ترتعش: «ها! ها! لا، لا، يا بني! إنني أتدفأ وحسب!». لكنها كانت تكبر بالفعل وتغدو أطول فأطول، وكان طولها قد بلغ نصف طول شجرة الزان. وكان راعي الماعز يراقبها بعينين مفتوحتين على وسعهما وهي تكبر، وحين بدأ الخوف يتسلل إلى قلبه، قال ثانية: «لكن حجمك بات مخيفاً حقاً، وأنت تغدين أطول فأطول كل لحظة».

كحّت العجوز وارتعشت، وقالت: «ها، ها، يا بني. إنني أتدفأ وحسب!». وحين رأى أنها قد غدت بطول شجرة الزان، وخشي على حياته، نادى قلقاً على رفقته: «امسكها، يا دبّي! امسكها، يا ذئبي! امسكها، يا كلبي! امسكيها، يا قطتي!». لكن ذلك كان عبثاً؛ فما من أحد بينهم كان قادراً على أن يتحرك من مكانه قيد أنملة. وحين رأى ذلك، حاول أن يهرب، لكنه وجد نفسه عاجزاً

Twitter: @ketab_n

عن الحراك، كأنّه قُيِّد في مكانه. عندئذٍ انحنت العجوز قليلاً، وقد رأت أنَّ كلَّ شيء قد سار كما أرادت، ومسّته بإصبعها الصغير، قائلةً: «اذهب، لقد خسرت رأسك!» فتحول في غمضة عين إلى رماد. بعد ذلك، مسّت بإصبع قدمها اليسرى حيواناته جميعاً، واحداً بعد الآخر، فما لبثت أن تحولت إلى رماد أيضاً مثل سيدها.

جمعت العجوز الرماد كلّه ودفنته تحت شجرة بلوّط. وحين أخذت السلسلة الحديدية في يدها، تحولت ثانية إلى شعرة، أعادتها من جديدٍ إلى مكانها في رأسها.

وكان قد سبق لهذه العجوز أن فعلت مع كثير من الفرسان الشباب والنبلاء ما فعلته الآن مع راعي الماعز المسكين هذا. لكن المؤسف هو أنهم كانوا قد خسروا حيواتهم بطريقةٍ أكثر شرفاً، وليس بشعرةٍ واحدةٍ من عجوز ساحرة.

أمّا الأخ الأوسط، وبعد أن عمل طويلاً في مكان غريب، فقد تملكته رغبة شديدة في أن يمضي إلى شجرة البلوط عند المفترق، حيث افترق وأخويه، لكي يرى إن كانت سكاكينهم لا تزال في جذع البلوطة، لكنّ سكين أخيه الأصغر كانت قد سقطت على الأرض. فعلم عندئذٍ أن أخاه الأصغر قد مات، أو يواجه خطر الموت، وقرر أن يسلك في الحال الطريق التي سلكها ويحاول أن

Twitter: @ketab_n

يكتشف ما جرى له. وحين مضى في الطريق التي سبق لأخيه الأصغر أن سلكها، وصل، في اليوم الثالث، إلى قصر الملك، فذهب إلى الملك ورجاه أن يأخذه بين خدمه. فأخذه الملك راعياً لماعزه، تماماً كما سبق أن أخذ أخاه الأصغر.

وبعد أن رعى الأخ الأوسط ماعز الملك فترة طويلة، صعد بها ذات يوم تلّاً مرتفعاً، ووجد هناك شجرة صنوبر باسقة، فقرر أن يتسلقها إلى قمتها وينظر من هناك إلى الريف الممتد في الجهة الأخرى من التلّ. وحين تطلّع حوله من قمة الصنوبرة، لاحظ دخاناً هائلاً يتصاعد من جبل بعيد، وخطر له في الحال أنَّ أخويه ربما كانا هناك. فنزل بسرعة وجمع ماعزه، وعاد إلى قصر الملك، يتبعه مرافقوه الأربعة؛ أي دبّه، وذئبه، وكلبه، وقطته. وحين بلغ القصر مضى إلى الملك رأساً ورجاه أن يعطيه أجره في الحال، ويطلقه ليبحث عن أخويه، لأنه رأى دخاناً يتصاعد على جبل، وحسب أنهم هناك. عبثاً حاول الملك أن يثنيه عن عزمه قائلاً إن أحداً ممن ذهبوا إلى هناك لم يعد، لكن كلمات الملك جميعاً لم تسفر عن شيء، لأنّه كان مصمماً على الذهاب، فدفع له الملك ما يتوجب عليه، وأطلقه.

شدَّ الأخ الأوسط الرحال في الحال، ومضى إلى الجبل رأساً. وحين وصل إلى هناك، قضى وقتاً طويلاً قبل أن يجد أي نار. غير

Twitter: @ketab_n

أنّه وجد ناراً، في النهاية، تحت شجرة زان، فمضى إليها ليتدفّأ، وهو يتساءل طيلة الوقت من أضرمها، لأنه لم يرَ أحداً بقربها. وبينما هو يتدفّأ سمع صوت امرأة في الشجرة فوق رأسه، وحين نظر إلى هناك رأى عجوزاً متكوّمةً فوق غصنٍ، ترتجف من البرد.

وما إن رآها حتى طلبت منه العجوز أن يدعها تنزل وتتدفّأ، فقال لها إن بمقدورها أن تنزل وتتدفأ كما تشاء.

لكنها قالت: «أخشى من الرفقة التي معك. خُذ هذه الشعرة وألْقِها فوق دبّك وذئبك وكلبك وقطتك، وعندئذٍ أقدر أن أنزل».

وانتزعت شعرة من رأسها وألقتها إليه. فضحك من مخاوفها، وأكّد لها أنَّ مرافقيه لن يؤذوها؛ لكنه حين وجد أنّها لا تزال تخشى النزول من الشجرة، على الرغم من كلِّ ما قاله، أخذ الشعرة وألقاها على البهائم كما وجّهته. وفي الحال، تحولت الشعرة إلى سلسلة حديدية قيّدت الحيوانات الأربعة معاً. عندها نزلت العجوز، وجلست إلى النار تتدفّأ. وبينما كان الأخ الأوسط ينظر إليها وهي تتدفأ رأى أنها كانت تكبر وتكبر، إلى أن غدت بنصف طول شجرة الزان. فتعجّب الأخ الأوسط، وصاح: «أيتها العجوز، أنت تكبرين». فقالت وهي تكحّ وترتجف: «هَيْ،

Twitter: @ketab_n

هَيْ، يا ولدي، إنني أتدفأ وحسب». لكنه حين رأى أنها غدت بطول شجرة الزان، خاف، ونادى رفقته: «امسكها، يا دبيّ! امسكها، يا ذئبي! امسكها، يا كلبي! امسكيها، يا قطتي!»، لكن أحداً منها لم يكن قادراً على أن يأتي بحركة، نظراً لإحكام القيد عليها معاً.

وحين رأت العجوز ذلك، انحنت ومسّته بإصبعها الصغير فتحول إلى رماد. ثم مسّت الحيوانات الأربعة، واحداً بعد الآخر، بإصبع قدمها اليسرى الصغير، فتحولوا إلى رماد أيضاً.

وما إن فعلت العجوز ذلك حتى جمعت الرماد كله في كومةٍ دفنتها تحت شجرة بلوط. وكما فعلت برماد كثير من الفرسان والأسياد والشبان، هكذا فعلت الآن برماد هذا الرجل البسيط الفقير. لكن أولئك كانوا قد ماتوا بطرائق أكثر شرفاً، وليس بشعرة من رأس عجوز بائسة.

كان قد مرّ زمن طويل، من دون أن يخطر للأخ الأكبر ولو مرّة أن يعود إلى المفترق حيث افترق عن أخويه. فقد كان منهمكاً في خدمة سيد طيّب وصادق، وإذ وجد حاله على ما يرام، توهَّم أنّ حال أخويه كحاله. كان سيده صاحب خان، وكان عمل هذا الخادم مقتصراً على ترتيب أسرّة النزلاء، في الصباح والمساء.

Twitter: @ketab_n

وقد أحسن القيام بعمله لدرجة أن سيده فكّر في أن يتّخذه ولداً بالتبني، لأنه لم يكن لديه أولاد.

وذات يوم جاء سيد بارز ليقضي الليل في الخان، وحَسِبَ الخادم أنّ هذا الغريب يبدو شديد الشبه بأخيه الأصغر. ورغب في أن يسأله عن اسمه، لكنه لم يستطع، خجلاً؛ من جهة لأنه خشي أن يلومه أخوه على نسيانه أن يذهب إلى شجرة البلوط؛ ومن جهة أخرى لأنّ سلوك النزيل كان ذلك السلوك الرفيع وثيابه من الحرير الناعم والمخمل، في حين كان قد ترك أخاه خشن الثياب جلفاً.

وبينما كان يفكر في الشبه بين النزيل وأخيه الأصغر، حسب أنّ أخاه ربما يكون قد اكتسب، في رحلاته، بعض الحكمة، وحقق من خلال حكمته هذه نجاحاً في عمله، وجنى من خلال هذا العمل مالاً، ومكّنه هذا المال من أن يشتري ثياباً ناعمة كالتي يرتديها الغريب. وفيما هو يفكّر على هذا النحو، تشجّع، أخيراً وسأل السيد عن عائلته، ثم تجرّأ بما يكفي لسؤاله بوضوح إن كان أخاه.

وهذا ما سارع الغريب إلى إنكاره ونفيه تماماً، سائلاً، بدوره، عن عائلة الخادم. وراح يصغي مبتسماً إلى جميع التفاصيل التي قصّها عليه.

Twitter: @ketab_n

وفي الصباح التالي، غادر النزيل الخان باكراً؛ وحين مضى الخادم لكي يرتب السرير الذي رقد فيه، وجد حجراً صغيراً تحت الوسادة. وظنّ أنّ لهذا الحجر قيمته، كونه ملكاً لرجل يمثل هذا الغنى، وخطر له أنّ شخصاً يلبس الحرير الناعم والمخمل لن يكاد يشعر بفقدان هذا الحجر. ورفعه إلى شفتيه وقبّله، قبل أن يضعه في جيبه؛ غير أنّه ما إن مسّته شفتاه حتى برز زنجيان وسألاه: «سمعاً وطاعة يا مولاي. بم تأمرنا أن نفعل؟». فارتاع من ظهورهما المفاجئ، وأجاب «لا آمركما بشيء». فاختفى الزنجيان، ووضع هو الحجر في جيبه.

وكان كلما ازداد تفكيره في الحجر، ازداد تعجّبه منه، وراح يتأمل ما عساه يفعله به. ولكي يكتشف ما يمكن للزنجيين أن يفعلاه، أخذ الحجر من جيبه، ورفعه ثانية إلى شفتيه. وسرعان ما عاود الزنجيان الظهور، وكرّرا القول: «سمعاً وطاعة يا مولاي». فقال سريعاً: «أريد أن تحضرا إليّ أفخر الثياب، على ألا تكون قطعتان منها قد صنعتا من المادة ذاتها». ولم تمض بضع لحظات حتى جلب له الزنجيان أجمل الثياب وأفخرها، حتى إنه لم يستطع أن يحسم أية قطعة هي الأجمل. وحين صرف الزنجيين، اللذين اختفيا في الحجر، راح يرتدي الثياب. وبينما كان يبدي

Twitter: @ketab_n

إعجابه بمدى لياقة ملابسه، وقف سيده عند باب حجرته، وحين رأى غريباً في مثل هذه الملابس الفاخرة، قال بتواضعٍ: «عفواً، يا سيدي، من أين أنت؟».

فأجاب الخادم: «من مكان ليس بعيد».

فقال صاحب الخان: «انتظر لحظة، سوف أنادي خادمي ليتلقى أوامرك»؛ وخرج، وراح ينادي خادمه بصوت مرتفع.

في هذه الأثناء، أسرع الخادم بخلع ملابسه الفاخرة وأعادها إلى الزنجيين. ثم عجّل بارتداء ملابسه القديمة، وهُرِعَ خارج الغرفة. وحين وجد غرفة المؤونة مفتوحة، راح يرتب الأشياء.

ووجده سيده منهمكاً على هذا النحو، وأمره أن يترك ما في يده، ويذهب ليعدّ القهوة لنزيل مميَّز وصل للتو.

غير أنهما لم يجدا النزيل الغريب في أيّ مكان. فتش صاحب الخان وخادمه غرف الخان جميعاً، و لم يجدا أثراً للنزيل. فظنَّ السيد الذي دُهشَ كثيراً، أنَّ بعض اللصوص يحتالون عليه، وأمر الخادم أن يدقّق مستقبلاً في من يدخل الخان ويخرج منه، أمّا الخادم فأصغى إلى سيده بهدوء؛ لكنه وقد سبق له أن تذكّر أخاه، تملكته عندئذٍ رغبةٌ لا تقاوم في البحث عنه، فقال لصاحب الخان

Twitter: @ketab_n

أنّه قرر أن يذهب، ورغب إليه أن ينقده أجره.

حزن صاحب الخان كثيراً لسماع ذلك، وعرض عليه أن يزيد أجره، وحاول بشتى الوسائل أن يبقيه، لكن ذلك كان من غير طائل. وحين رأى السيد أنَّ الخادم قد وطّد العزم على الذهاب، دفع له أجره، وسمح له بأن يغادر الخان. فذهب الأخ الأكبر وأخذ معه حيواناته الأربعة، دبّه وذئبه وكلبه وقطته.

وبعد سفر طويل، جاء به حسن الطالع إلى المفترق حيث افترق عن أخويه. فاندفع في الحال صوب شجرة الصنوبر ليرى إن كانت السكاكين لا تزال مغروزة فيها، لكن سكينه وحدها كانت في الشجرة. وكانت الأخريان قد سقطتا، فحزن أشدَّ الحزن، لقناعته أنَّ أخويه قد ماتا أو أنهما في خطر كبير. وفي اضطرابه نسي تماماً الشعرة العجيبة والحجر العجيب اللذين يمتلكهما، وقرر أن يمضي ويبحث عن أخويه، فمضى في الطريق الذي سلكه أخوه الأصغر حين افتراقهم.

أثناء سفره تذكّر الشعرة التي أعطاه إياها الحصان المجنّح، والحجر الذي وجده في الخان؛ لكن هذا لم يعزّه كثيراً، لأن حزنه على أخويه كان ذلك الحزن البالغ. وبعد فترة وجد نفسه أمام قصر منيف، سأله حراسه إنْ كان يتولى أمر ماعز الملك. فأجاب

Twitter: @ketab_n

أن نعم، إن كان بمقدور الملك أن يخبره بشيءٍ عن أخويه اللذين مرّا من هنا مع رفقة مماثلة لرفقته. فقال الملك إنَّ ما من رجل مع مثل هذه الرفقة مرَّ من هنا في عهده؛ وكان هذا صحيحاً تماماً، لأنه لم يكن قد اعتلى العرش إلا أخيراً، حين توفّي الملك السابق، الذي كان الأخوان قد عملا لديه. غير أنَّ الأخ الأكبر قرر أن يمكث هناك لبعض الوقت، مع أنه لم يتمكّن من معرفة شيء عن أخويه الأصغرين، فعمل لدى الملك راعياً للماعز.

وبينما كان يُخرِج الماعز، يوماً بعد يوم، كان يبحث في كلِّ اتجاه عن أثر لأخويه، إذ حاول أن يصدق أنهما لم يموتا، على الرغم من سقوط سكينيهما من شجرة الصنوبر.

وفي يوم، بينما يطوف مع ماعزه، التقى شيخاً متجهاً إلى الغابة، وفأسه على كتفه، كي يحتطب.

فسأله إن كان قد رأى أخويه. فأجاب الشيخ: «من يعلم؟ لعلهما ضاعا على ذلك الجبل حيث فقد كثيرون حيواتهم. اصعد بماعزك ذلك التلّ المرتفع؛ ومن قمته سوف ترى جبلاً أعلى، يتصاعد منه الدخان، ولا يكفّ عن التصاعد. على ذلك الجبل ضاع كثيرون؛ ولعلّ أخويك أيضاً قد هلكا هناك. لكني أنصحك بألا تذهب بأيّ حال إلى المكان الذي يتصاعد

Twitter: @ketab_n

منه الدخان. إنني الآن مسنّ، ولا أذكر قطّ أنني رأيت أحداً يعود ممن ذهبوا إلى هناك. فإذا ما كانت حياتك عزيزة عليك، لا تصعد الجبل». ومضى الشيخ في سبيله بعد أن قال ذلك.

صعد الراعي بماعزه التلّ، ومن قمته رأى، كما قيل له، جبلاً شاهقاً يتصاعد منه الدخان. وحاول أن يتبين إن كان ثمة مخلوق حيّ، لكنه لم يستطع أن يرى أثراً لأيّ مخلوق. وفكّر في نفسه إن كان ينبغي أن يذهب إلى هناك أم لا، وبعد أن قلّب الأمر في رأسه، قرر في النهاية أن يذهب.

وفي المساء، حين عاد بالماعز، كشف للملك عن نيته. وحاول الملك بقوة أن يدفعه إلى العدول عن هذا العزم، ووعد بأن يزيد من أجره إذا ما مكث معه، غير أن شيئاً لم يثنه عن قراره. فدفع له الملك، وأطلقه.

وحين بلغ الجبل وجد النار، وتساءل من الذي أضرمها. وبينما يفكّر في ذلك سمع صوت امرأة، يقول: «هَيْ، هَيْ!» فتطلّع، ودُهِشَ لرؤيته عجوزاً متكوّمةً بين أغصان شجرة الزان فوق رأسه، شعرها أطول من جسدها، وأبيض كالثلج. وحين تطلّع إليها، قالت له: «يا ولدي، إنني بردانة، وأودّ أن أتدفأ، لكني أخشى حيواناتك. لقد

Twitter: @ketab_n

أضرمتُ تلك النار، لكني حين رأيتك قادماً مع حيواناتك، فزعت، وصعدت إلى هنا أحتمي».

فقال: «حسناً، يمكنك الآن أن تنزلي، وتتدفّأي كما تشائين». لكنها اعترضت، قائلة: «لست أجرؤ، حيواناتك سوف تفترسني. لكني سألقي إليك بشعرة، تربط الحيوانات بها. وعندها يمكن أن أنزل». ففكر الأخ الأكبر في نفسه: لابدّ لهذه الشعرة أن تكون شعرةً فريدة حقاً، ما دامت قادرة على أن تقيّد دبّه وذئبه وكلبه وقطته. وبدلاً من أن يلقيها فوق الحيوانات، ألقاها في النار. وفي هذه الأثناء كانت العجوز قد نزلت من الشجرة، وجلسا معاً قرب النار. لكنه لم يرفع عينيه عنها.

وسرعان ما بدأت تكبر، وتكبر، وارتفعت عشر ياردات خلال وقت قصير. عندئذ تذكّر كلمات الحطّاب المسنّ وراح يرتجف. غير أنّه اكتفى بالقول لها: «أنت تكبرين، يا خالة». فأجابت: «آه، لا، يا ولدي. إنني أتدفأ وحسب». وكانت تغدو أطول فأطول، حتى غدت بطول شجرة الزان، فصاح: «لكنك تكبرين، أيتها العجوز!»، فقالت، كما من قبل: «آه، لا، يا ولدي. إنني أتدفأ وحسب».

لكنه رأى أنها تضمر له شراً، فصاح برفقته: «امسكها، يا كلبي! امسكها، يا دبي الصغير! امسكها، يا ذئبي الصغير!

Twitter: @ketab_n

امسكيها، يا قطقوطتي!» فوثبوا على العجوز جميعاً، وراحوا يمزّقونها. وحين رأت أنّه قد أُسقط في يدها، رجته أن ينقذها من براثن أعدائها، ووعدت بأن تعطيه ما يريد. فقال لها: «حسناً. أريد أن تعيدي إلى الحياة أخويّ، مع حيواناتهما، وجميع أولئك الذين سبق لك أن أهلكتِهم. كما أريد علاوة على ذلك، عشرة أحمال من الدوقاتيات. فإن لم تلبّي مطالبي هذه، سأدع حيواناتي تمزّقك إرباً». فوافقت العجوز على أن تفعل كلّ ذلك، لكنها رَجتَه فقط ألا يعود رجلٌ بعينه إلى الحياة، لأنها كانت قد قالت، حين حولته إلى رماد: «إذا ما قمتَ، فلأرقد مكانك!»، فكانت تخشى أن تتحول إلى رماد هي نفسها إذا ما عاد إلى الحياة.

لكن الأخ الأكبر كان يحسب أنها تحاول خداعه، فلم يستجب لطلبها.

وإذ وجدتْ أنها عاجزة عن فعل شيء، قالت له في النهاية: «خذ بعض الرماد من الكومة تحت الشجرة، وألقه عليك وعلى رفقتك، وقل وأنت تفعل ذلك: «انهضوا، يا أيها الغبار والرماد، وكونوا كمثل ما أنا عليه!»».

ويا للعجب العُجَاب! ما إن فعل كما قالت حتى نهضت حشود من الرجال، أكثر من عشرة آلاف. وحين رأى مثل

Twitter: @ketab_n

هذه الأعداد الغفيرة من البشر تتدفق من تحت الشجرة، كادت الدهشة تفقده صوابه. لكنه أوضح لهم باختصارٍ ما جرى. فشكره معظمهم أشدّ الشكر؛ لكن بعضهم لم يصدقوه، وقالوا في غضب: «كنّا نفضّل ألا توقظنا». ثم مضوا جماعاتٍ، بعضهم في هذا الطريق، وبعضهم في ذاك، إلى أن اختفوا جميعاً. و لم يبقَ سوى أخويه، مع أنهما لم يصدقا لوهلة أنه أخوهما. لكنهما، حين شاهدا أنَّ حيواناتهما قد عرفت حيواناته، تذكرا أن أحداً سواهم ليس لديه مثل هذه الرفقة الغريبة من البهائم. وحين عرف واحدهم الآخرين، اندفع كلٌّ منهم إلى حضن الآخر، وعانقه بحرارةٍ. ثم اقتسموا الدوقاتيات التي أعطتها العجوز للأكبر، وحمّلوا حيواناتهم بكنوزهم، ومضوا مباشرة باتجاه مسقط رأسهم، وحيث توفّي والداهم.

أمّا العجوز فقد تفتّتت هي نفسها وتحولت إلى رماد تحت شجرة الزان، ما إن قام الرجل الأخير من الرماد الذي كان هناك.

بنى الأخوة الثلاثة لأنفسهم ثلاثة قصور جميلة، وعاشوا هناك لبعض الوقت دون زواج. لكنهم راحوا، في النهاية، يفكّرون بما سيحصل لثروتهم حين يموتون، وقال واحدهم

Twitter: @ketab_n

للآخر إنَّ من المؤسف أن يموتوا بلا ورثة. فعزموا على الزواج، كي تؤول ثروتهم لأبنائهم وبناتهم.

قال الأخ الأكبر: «دعوني أذهب وأجد أصلح الزوجات اللائي يمكن لي أن أجدهن لثلاثتنا؛ أما أنتما فابقيا هنا واعتنيا بأملاكنا». فوافق الأخوان بسرور على هذا، لأنَّ الأخ الأكبر كان قد أثبت بما يكفي انّه أحكم الثلاثة، وكانت لديهم الثقة بأنه سيصل بهذا الأمر الهام إلى برّ النجاح. وهكذا أعدّ العدّة اللازمة، وانطلق في رحلته بحثاً عن ثلاث زوجات لنفسه ولأخويه الأصغرين اللذين خلّفهما وراءه.

وبعد سفر طويل وصل إلى مدينة كبيرة، وقرر أن يمضي الليل كلّه، ويواصل رحلته في الصباح.

وصادف أنَّ ملك البلاد كان قد نظّم سباقاً للجياد، ووعد بأن يقدّم ابنته الوحيدة جائزة للفائز، ومعها عشرة أحمال من الكنوز.

وعشية وصول الأخ الأكبر إلى هناك سمع المنادي قارع الجرس يعلن في الشوارع أنَّ من لديه حصان ينبغي أن يحضر في الغد إلى الميدان الملكي، ومن يثب أولاً فوق الخندق يفوز بابنة الملك، وينال، معها، عشرة أحمال من الذهب.

Twitter: @ketab_n

سمع الأخ الأكبر الإعلان من دون أن يقول شيئاً. وفي الصباح مضى إلى ميدان الملك كي يشاهد السباق، فوجد هناك جياد لا تحصى من كلّ نوع.

وبعد قليل جاءت الأميرة أيضاً، ابنة الملك، وجيء خلفها بعشرة أحمال من الكنوز.

وحين رأى ابنة الملك حسبَ أنها فائقة الحسن حتى إنه انتحى جانباً من الحشد كي يراها على نحوٍ أفضل. وعندئذٍ تذكّر حجره العجيب، فأخرجه ورفعه إلى شفتيه، فظهر الزنجيان في الحال، وقالا: «سمعاً وطاعة يا مولاي». فقال: «أحضرا لي ثياباً من الحرير والمخمل، مطرّزة جميعاً بالأحجار الكريمة، وعشرةً من الجياد القوية، وافعلا كلّ ذلك بأسرع ما يمكنكما!». و لم تطرف عيناه مرتين حتى وضع الزنجيان أمامه كلّ ما أمر به. فأخرج الشعرة بعد ذلك، وأضرم ناراً بحجر القدح، وقرّبها منها، فلم يلبث الحصان الأشهب الذي أعطاه الشعرة أن وقف بجانبه، وسأله: «ما الذي تأمر به، يا سيدي؟». فأجاب: «أريد أن نترك اليوم جميع الجياد وراءنا في السباق، فأنال ابنة الملك. ولذلك هيا استعد ودعنا نذهب في الحال، لأنّ الجياد الأخرى باتت الآن جاهزةً للانطلاق».

Twitter: @ketab_n

وما إن فاه بهذه الكلمات، حتى هبَّ الحصان الأشهب، وضرب الأرض بحوافره، جاهزاً للسباق وتوّاقاً للانطلاق. فامتطى الرجل صهوته، وانطلقا. كان المتسابقون الآخرون قد ابتعدوا كثيراً عن نقطة البداية، إذ انطلقوا قبل بضع لحظات؛ لكنه سرعان ما أدركهم في لحظةٍ، وفي الثانية تجاوزهم وخلّفهم وراءه. وحين بلغ الخندق، الذي يبلغ عمقه مئة وخمس ياردات وعرضه مئة ياردة، وثب الحصان وثبة عظيمة حتى إنّه مسّ الأرض أبعد من الخندق بحوالي خمسين ياردة.

عندئذٍ عاد وأخذ الفتاة، ابنة الملك، وحملها، خلفه على الحصان، مع أحمال الذهب. وحين رأى الناس ذلك، تساءلوا كثيراً من عساه يكون هذا الفارس الغريب الذي خلّف أفضل الجياد بعيداً وراءه، وفاز بالأميرة الحسناء، وكلّ ما لديها من كنوز ثمينة.

سار الأخ الأكبر على حصانه طويلاً حتى وصل إلى غابة بعيدةٍ عن المدينة، وهناك أفلت حصانه إلى أن يحتاج إليه ثانية. ثمَّ خلع ملابسه الجميلة وارتدى القديمة ومضى على هذا النحو مع الفتاة وأحمال الذهب.

وفي المساء وصل إلى مدينة غريبة، وقرر أن يبقى هناك. وبعد

Twitter: @ketab_n

أن ارتاح قليلاً، قال له من كانوا في الخان إنَّ المنادي قارع الجرس كان يعلن طيلة اليوم أنَّ كلَّ من لديه حصان قوي ينبغي أن يذهب في الغد إلى السباق، لأنَّ ملك القصر قد عرض ابنته الوحيدة جائزةً، ومعها مئة مثقال من الذهب والجواهر، لكن هناك خندقاً ينبغي الوثب فوقه عمقه ثلاثمئة وخمسين ياردة وعرضه مئة وخمسين. وحين سمع ذلك سُرَّ كثيراً، لأنه كان واثقاً كلَّ الثقة من كسب هذا السباق أيضاً.

وفي الصباح، ارتدى من جديدٍ أفخر اللباس، واعتلى صهوة الحصان الأشهب، بفضل الحجر الصغير والشعرة العجيبة، وأخذ مكانه بين المتسابقين.

راح الجميع يتساءلون من أيّ بلاد جاء هذا الفارس، وسرّوا بلباسه الفاخر الثمين. أمّا حصانه، فلم يكلّوا من التعبير عن إعجابهم به. وحين استعدّت أحصنة السبق للانطلاق تخلّف عاماً. إذ كان يعلم أنّ ذلك لن تترتب عليه أيّ عواقب، إذ يستطيع في لحظةٍ أن يلحق بهم ويتخطّاهم جميعاً. وفي النهاية انطلق، وفي لحظةٍ تجاوز أسرع الجياد، وبلغ الخندق، فوثب من فوقه كأنّه لا وجود له. ثم لم ينتظر لحظة، فأخذ ابنة الملك وكنوزها، ومضى رأساً إلى المدينة حيث ترك ابنة الملك الأولى

Twitter: @ketab_n

وأحمالها من الذهب.

عندئذٍ فكّر أنّ وقت العودة إلى البيت قد حان، بعد أن باتت معه الأميرتان وكلّ تلك الثروة. غير أن حسن الطالع العظيم ساقه من جديد إلى مدينة كبيرة، حيث قرر أن يمضي الليل. وهناك، أيضاً، كان المنادي قد أعلن طيلة اليوم عن عزم الملك تقديم ابنته الوحيدة وألفاً وخمسمئة مثقال من الذهب لمن يكسب السباق الذي سيجري في الغد. وكان على الجياد هذه المرة أن تقفز فوق خندق عمقه ألف ياردة وعرضه أربعمئة وخمسين. وحين سمع الأخ الأكبر هذا الإعلان، فرح كثيراً، لأنه كان يعلم أن ما من متسابق يستطيع أن يسبق حصانه العجيب.

وفي الصباح، كان له، بفضل حجره الصغير وشعرته، أن يأمر بإحضار خمسة عشر حصاناً كي تحمل الكنوز التي كان على ثقةٍ من كسبها، كما أمر الزنجيان بأن يحضرا له فرسه الرائع وثيابه المذهلة التي لا يمكن حتى لملك أن يشتريها.

وحين ارتدى تلك الملابس الفاخرة، وامتطى ذلك الحصان العجيب، لم يكن بوسع العالم، الذي اجتمع ليرى السباق العظيم، أن ينظر إلى أيّ شيء سواه.

Twitter: @ketab_n

وعندما استعد المتسابقون جميعاً للانطلاق، توانى في الخلف وترك لهم أن ينطلقوا بسرعة الصقور. كان يرغب في أن يرى الجميع تأخّره في الانطلاق، كي لا يمكن لهم أن يتهموه بالغشّ بأيّ حال من الأحوال. وحين ابتعد الجميع كثيراً، انطلق هو أيضاً، وفي لحظةٍ لحق بهم، وتخطّاهم، وتركهم خلفه بمسافة بعيدة، بعيدة. كيف لا؟ ومتى أمكن للغراب أن يسبق الصقر؟ ولمّا بلغ الخندق، مسّ اللجام قليلاً، وفي غمضة عين كان حصانه قد تجاوزه، وباتا سالمين على الجهة الأخرى. ومن دون تلكؤ، أخذ الفتاة، ومعها الذهب كلّه، وعاد إلى المدينة. وبعد أن جمع كنوزه الهائلة، أخذ معه الأميرات الثلاث، ومضى باتجاه البيت. وفي طريق عودته مع رفقته، كان كلّ من يلتقيه يسأله: «إلى أين تذهب؟ هل الفتيات للبيع؟». لأنَّ الأميرات كنَّ فائقات الحسن. لكن عجب أخويه وسرورهما بمرأى الأميرات الحسناوات الثلاث، حين وصل إلى البيت، فاق عجب الآخرين جميعاً وسرورهم. ولم يفرحا بالثروات التي كسبها لهما كنصف فرحهما بروعة بنات الملوك اللواتي أُحضرن ليكنَّ زوجات لهم.

وهكذا تزوّج كلُّ واحدٍ من الإخوة الثلاثة أميرةً جميلةً؛ لكن الأخ الأكبر، الذي كان أشجع الجميع وأحكمهم، تزوج أصغر الثلاث وأجملهن.

Twitter: @ketab_n

# الحيواناتُ صديقةً وعدوّةً

كان يا ما كان، في قديم الزمان، وفي بلدٍ بعيد، نبيلٌ شاب حلَّ به الفقر الشديد حتى اقتصرت أملاكه جميعاً على قلعة قديمة وحصان جميل وكلب صيد أمين وبندقية جيدة.

وكان هذا النبيل يمضي وقته كلّه في الصيد والقنص، ولا يعيش إلا على ما يأتي به من الطرائد.

وفي يومٍ امتطى حصانه المُدَلَّل وسار نحو الغابة المجاورة، يرافقه كلبه الأمين، كالعادة. وحين وصل إلى الغابة ترجّل، وأحكم ربط حصانه إلى شجرة فتية، ثم توغّل بين الشجر الكثيف بحثاً عن صيد. وكان الكلب يعدو على مسافةٍ أمام سيده، في حين بقي الحصان وحده، يرعى بهدوء. وصادف عندئذٍ أنَّ أنثى ثعلب جائعة مرّت من هناك، ورأت حسن تغذية الحصان وحسن زينته، فتوقفت برهةً معجبةً بذلك. لكنها لم تلبث أن فُتنت بالحصان الجميل، حتى إنّها استلقت بقربه على العشب كأنّها برفقته.

عاد النبيل الشاب بعد فترةٍ من الغابة، حاملاً أيلاً كان قد

Twitter: @ketab_n

أرداه، ودُهش كثيراً لرؤية الثعلبة مستلقية قرب حصانه. فرفع بندقيته يريد أن يطلق النار عليها، لكنها هرعت إليه وقالت: «لا تقتلني! خذني معك، وسوف أخدمك بإخلاص. سوف أُعنى بحصانك الجميل حين تكون في الغابة».

تكلمت الثعلبة على ذلك النحو الذي يثير الإشفاق حتى إن النبيل حزن عليها، ووافق على اقتراحها. ومن ثمّ امتطى حصانه، ووضع الأيل الذي أرداه أمامه، وسار عائداً إلى قلعته، يتبعه عن كثب كلبه وخادمته الجديدة، الثعلبة.

وحين أعدّ النبيل الشاب عشاءه، لم ينْسَ أن يقدّم للثعلبة حصتها الخاصة، فهنّأت نفسها على أنها لن تجوع ثانية، ما دامت في خدمة هذا الصياد الماهر على الأقل.

وفي صباح اليوم التالي خرج النبيل من جديد إلى الصيد، ورافقته الثعلبة أيضاً. وعندما ترجّل الشاب وربط حصانه، كالمعتاد، إلى شجرة، استلقت الثعلبة قربه كأنّها برفقته.

وبينما الصياد في عمق الغابة يبحث عن صيدٍ، مرّ دبٌّ جائع بالمكان الذي رُبِطَ فيه الحصان، وحين رأى كم هو سمين يغري بالأكل، هجم ليقتله. لكن الثعلبة قفزت ورجت الدبّ ألاّ يؤذي

Twitter: @ketab_n

الحصان، وقالت له إنّه إذا ما كان جائعاً فما عليه سوى أن ينتظر عودة السيد من الغابة، لأنها واثقة كلّ الثقة من أنّ هذا النبيل الطيب سوف يأخذه إلى قلعته ليطعمه، ويعتني به، كما يعتني بحصانه وكلبه، وبها هي نفسها.

فكّر الدبّ عميقاً بالأمر وأَعْمَلَ فيه حكمته، وقرر في النهاية أن يتبع نصيحة الثعلبة. فرقد هادئاً قرب الحصان، وانتظر عودة الصياد. وحين عاد النبيل الشاب من الغابة دُهِشَ كثيراً لرؤية مثل هذا الدبّ الكبير قرب حصانه، وأنزل الأيل الذي اصطاده عن كتفه، ورفع بندقيته التي لا تخيب وأوشك أن يطلق على هذا الوحش. لكن الثعلبة هرعت إلى الصياد وتوسّلت إليه أن يبقي على حياة الدبّ، وأن يأخذه، هو أيضاً، في خدمته. فوافق النبيل على ذلك، واعتلى حصانه، وسار عائداً إلى القلعة، يتبعه الكلب والثعلبة والدبّ.

وفي الصباح التالي، حين خرج الشاب ثانيةً مع كلبه إلى الغابة، واستلقت الثعلبة والدبّ قرب الحصان بهدوء، رأى ذئبٌ جائعٌ الحصانَ، ووثبَ من دغلٍ ليقتله. لكن الثعلبة والدبّ قفزا بسرعة وتوسّلا إليه ألا يؤذي البهيمة، وقالا له إنَّ صاحبه رجل طيب إلى أبعد حدّ، وإنهما على ثقة من أنّه، إذا ما انتظر، فسوف يأخذه في خدمته، ويعتني به. وعندئذ فكّر الذئب، على الرغم من جوعه، أنَّ من الأفضل أن يقبل مشورتهما، واستلقى معهما

Twitter: @ketab_n

على العشب إلى أن عاد سيدهما من الغابة.

ولكم أن تتخيلوا كم دُهِشَ النبيل الشاب لمرأى ذئبٍ هزيل كبير مستلقٍ قرب حصانه! غير أنّه حين أوضحت الثعلبة الأمر، وافق على أن يأخذ الذئب، أيضاً في خدمته. فكان ذلك اليوم أن ركب عائداً إلى البيت متبوعاً بالكلب والثعلبة والدبّ والذئب. ولأنهم كانوا جياعاً جميعاً، فإنَّ الأيل الذي اصطاده لم يكن يكفي لعشائهم تلك الليلة، وفطورهم في صباح الغد.

ولم تمضِ أيامٌ كثيرة حتى أُضيف فأرٌ إلى الشلّة، وبعد ذلك توسّلت أنثى خلد أشد التوسّل من أجل ضمّها فلم تطاوع النبيلَ الطيبَ نَفْسُهُ على رفضها. وآخر الجميع جاءت أنثى الطائر الكبير، الكَمْريكوشا، بقوّتها الهائلة حتى إنها يمكن أن تحمل بكلّاباتها فرساً وفارسها! وسرعان ما أضيف أرنب بريّ إلى الثلّة، وكان النبيل يعتني بجميع حيواناته أشدّ العناية ويطعمها جيداً بانتظام، فتعلّقت به جميعاً ذلك التعلّق الفائق.

وفي يوم قالت الثعلبة للدبّ: «يا دبّي الطيب، أسرع بالله عليك إلى الغابة واجلب لي جذعاً كبيراً مناسباً، يمكن أن أجلس عليه حين أترأس مجلساً بالغ الأهمية سوف نعقده».

مضى الدبُّ، الذي يكنّ احتراماً عظيماً لما تتمتع به الثعلبة من

Twitter: @ketab_n

سرعة البديهة وحسن التدبّر، يبحث عن جذع، وسرعان ما عاد ومعه واحد ثقيل، عبّرت الثعلبة حياله عن رضاها التام. ودعت عندئذٍ إليها جميع الحيوانات، واعتلت الجذع، وخاطبتهم قائلةً: «تعلمون جميعاً، يا أصدقاء، مدى لطف سيدنا وطيبته. غير أنّه على الرغم من لطفه الشديد، شديد الوحدة أيضاً. ولذلك أقترح عليكم أن نجد له زوجة تناسبه».

ولا شكّ في أن الجمع سُرَّ كثيراً بهذه الفكرة، وردّ بالإجماع: «هذا حسنٌ، بالفعل، فقط لو أننا نعرف فتاةً جديرة بأن تكون زوجة لسيدنا، لكننا لا نعرف».

فقالت الثعلبة عندئذ: «اعلم أن لدى الملك ابنةً باهرة الحسن، وأحسب أنّه سيكون أمراً حسناً أن نأخذها لسيدنا، ولذلك أقترح أن تطير صديقتنا الكمريكوشا في الحال إلى قصر الملك، وتحوم هناك إلى أن تخرج الأميرة لتتمشى. فتخطفها وتحضرها إلى هنا».

ولأن الكمريكوشا كان يسرّها أن تفعل أيّ شيء لسيدها اللطيف، طارت في الحال، دون أن تنتظر حتى لتسمع قرار الجمع بشأن هذا الاقتراح.

وقبل حلول العشاء، خرجت الأميرة تتمشى أمام قصر أبيها، فأمسكت بها الكمريكوشا الكبيرة ووضعتها بلطف فوق جناحيها

Twitter: @ketab_n

المبسوطين، وطارت بها بنعومة وسلاسة إلى قلعة النبيل الشاب.

حزن الملك كثيراً حين سمع أنَّ ابنته قد خُطِفَت، وأعلن في كلّ مكانٍ عن جوائز رفيعة لمن يعيدها، أو حتى لمن يقول له أين يمكن أن يبحث عنها. غير أنَّ وعوده جميعاً ذهبت سدىً فترةً طويلة، لأن أحداً في المملكة لم يكن يعلم شيئاً عن الأميرة.

أخيراً، عندما أشرف الملك على اليأس، جاءت غجرية عجوز إلى القصر وسألت الملك: «ماذا تعطيني لو أعدت لك ابنتك، الأميرة؟»، فأجاب الملك بسرعة: «سيسرني أن أعطيك أيّ شيء تطلبينه، إذا ما أعدتِ ابنتي!».

عندئذٍ عادت الغجرية العجوز إلى كوخها في الغابة، وجرّبت كل ضروب سحرها في الكشف عن مكان الأميرة. فاكتشفت في النهاية أنها تعيش في قلعة قديمة، في بلد ناءٍ، مع نبيل شاب تزوج منها.

فرحت الغجرية كثيراً حين علمت ذلك، وأخذت سوطاً في يدها وجلست في الحال وسط بساط صغير، وضربته بسوطها. فارتفع عن الأرض وطار بها مسرعاً، صوب البلاد البعيدة حيث يعيش النبيل الشاب، في قلعته القديمة المنعزلة، مع زوجته الحسناء، وكلّ رفقته المخلصة من البهائم.

وحين اقتربت الغجرية من القلعة جعلت البساط يهبط على

Twitter: @ketab_n

العشب بين بعض الأشجار، وتركته هناك ومضت تتحيّن فرصة نزول الأميرة تتمشى. وبعد فترة خرجت السيدة الشابة الجميلة من القلعة، فمضت إليها العجوز القبيحة في الحال، وراحت تداهنها وتحكي لها أغرب أنواع الحكايات. وكانت تتقن ذلك لدرجة أنَّ الأميرة تعبت من المشي قبل أن تتعب من الإصغاء؛ وحين رأت البساط الناعم مفروشاً على العشب الأخضر، جلست عليه ترتاح قليلاً. وما إن جلست هناك حتى جلست الغجرية العجوز الماكرة قربها، وأمسكت بسوطها وساطت البساط بقوة. وسرعان ما رأت الأميرة نفسها محمولةً بعيداً عن قلعة زوجها، ولم يطل الأمر حتى أنزلت الغجرية البساط في حديقة قصر الملك.

ولن يصعب عليكم أن تخمّنوا مقدار السرور الذي شعر به الملك حين رأى ابنته المفقودة، ومقدار السخاء الذي أبداه بإعطاء الغجرية أكثر مما طلبته مكافأةً. ومنذ ذلك الحين جعل الملك الأميرة تعيش في برج منعزل تماماً مع امرأتين وحسب تقومان على خدمتها، وذلك لشدة خوفه من أن تُسرَق منه ثانيةً.

في هذه الأثناء، رأت الثعلبة مدى البؤس والكآبة اللذين أحاقا بسيدها الشاب بعد أن أُخذَت منه زوجته على ذلك النحو الغريب، وكانت قد سمعت بالاحتياطات الصارمة التي اتخذها

Twitter: @ketab_n

الملك للحيلولة دون اختطاف الأميرة من جديد، فدعت جميع الحيوانات إلى مجلس عام مرّة أخرى.

وحين تحلّق الجميع من حولها، بدأت الثعلبة على هذا النحو: «تعلمون جميعاً، يا أصدقائي الأعزاء، كم سعد سيدنا اللطيف بزواجه، لكنكم تعلمون، أيضاً، أنّه قد شقي بسرقة زوجته منه، وأنّه الآن أسوأ بكثير مما كان قبل أن نجد له الأميرة. فقد كان وحيداً آنئذ، أما الآن فلم يعد وحيداً وحسب، بل مهجوراً أيضاً! وما دام الحال كذلك، فمن الواضح أن واجبنا، نحن خدمه المخلصين، أن نحاول إعادتها إليه بطريقة ما. غير أنَّ هذا ليس بالأمر اليسير، لأن الملك وضع ابنته في برج حصين. لكني لن أيأس، وخطتي هي التالية: سوف أتحول إلى قطة جميلة، وألعب في حدائق القصر تحت نوافذ البرج الذي تعيش فيه الأميرة. وإنني لأجرؤ على القول إنها ستولع بي كثيراً ما إن تراني، فتطلب من خادمتيها أن تنزلا وتمسكا بي وتأخذاني إليها. لكني سأحترس أشدّ الاحتراس لئلا تمسك بي الخادمتان، حتى تنسى الأميرة، في النهاية، أوامر والدها بألا تغادر البرج، فتنزل هي نفسها إلى الحدائق لتجرّب حظها معي. وسوف أتظاهر عندئذ بأنها أمسكت بي، وفي هذه اللحظة، يا أصدقاء، على الكمريكوشا، التي ينبغي أن تكون محوِّمَةً فوق القصر، أن تهبط بسرعة، وتمسك بالأميرة، وتطير بها كما في السابق. وبهذه

Twitter: @ketab_n

الطريقة، يا أصدقائي الأعزاء، آمل أن نتمكن من أن نعيد إلى سيدنا زوجته الجميلة. فهل توافقون على خطتي؟».

وبالطبع، فإنّ الجمع كان مسروراً جداً بوجود مثل هذه المشيرة الحكيمة، وبقدرته على إثبات امتنانه لسيده الكريم. وهكذا هرعت الثعلبة إلى الكمريكوشا، التي طارت وهي تحت جناحها، وكانتا توّاقتين كلتاهما لتنفيذ الخطة، وإعادة البسمة إلى محيّا سيدهما.

وحين وصلت الكمريكوشا إلى البرج حيث تقطن الأميرة حطّت بالثعلبة بهدوء بين الأشجار، حيث تحولت هذه الأخيرة في الحال إلى قطة بالغة الجمال، راحت تبدي كل ضروب الخزعبلات البارعة تحت النافذة التي جلست إليها الأميرة. كان جسد هذه القطة مخططاً بألوان كثيرة مختلفة، و لم يطل الوقت حتى انتبهت إليها ابنة الملك، فأرسلت خادمتيها لتمسكا بها وتجلباها إليها داخل البرج.

نزلت الخادمتان إلى الحديقة ونادتا بصوت عذب: «قطيطة! يا قطيطة»؛ وقدمتا لها الخبز والحليب، لكن عبثاً. فالقطة كانت تتقافز مرحةً في الحديقة، وتعدو من حولهما، إنما من غير أن ترضى بأن تُمسَك بأيّ حال من الأحوال.

وفي النهاية، نفد صبر الأميرة، التي كانت واقفةً إلى إحدى

Twitter: @ketab_n

نوافذ البرج تراقب، فنزلت بنفسها إلى الحديقة، وهي تقول بنزق: «لقد أخفتما القطة وحسب؛ سوف أحاول أن أمسكها أنا!». وحين اقتربت من القطة التي بدت الآن راغبةً في أن يُمسَك بها، حطت الكمريكوشا بسرعة، وأمسكت بالأميرة من خصرها، وحلّقت بها.

أسرعت الخادمتان الخائفتان لتخبرا الملك بما جرى للأميرة، فأطلق الملك في الحال جميع كلابه كي تمسك بالقطة التي كانت السبب في اختطاف ابنته مرّة ثانية. وتبع الكلاب القطة من كثب، وكانوا على وشك أن يمسكوا بها حين رأت، في الوقت المناسب، مدخلاً ضيقاً، فأسرعت باللجوء إليه. حاولت الكلاب أن تلحق بها هناك، أو أن توسّع فم الكهف بمخالبها، لكن عبثاً، فانسلّت عائدة إلى الملك يجللها الخجل والخوف، بعد أن نبحت طويلاً ذلك النباح المهتاج.

وحين اختفت الكلاب جميعاً عن الأنظار عادت القطةُ ثعلبةً من جديد، وراحت تعدو بخطٍ مستقيم نحو القلعة، حيث وجدت سيدها الشاب في فرحٍ غامر، لأن الكمريكوشا كانت قد أعادت إليه زوجته الحسناء.

أمّا الملك فكان غاضباً أشدّ الغضب لفقدان ابنته من جديد،

Twitter: @ketab_n

واشتدّ هذا الغضب حين علم أنَّ مخلوقين تعيسين، طائر وقطة، قد أفلحا في خطفها على الرغم من كل احتياطاته. فقرر، في ذروة سخطه، أن يشنّ حرباً شاملة على الحيوانات، ويبيدها جميعاً.

ولقد حشد لهذه الغاية جيشاً عرمرماً، وعزم على أن يكون قائده هو نفسه. وسرعان ما انتشرت الأنباء عن نيّة الملك في أرجاء المملكة جميعاً، فدعت الثعلبة، للمرة الثالثة، جميع أصدقائها –الدب والذئب والكمريكوشا والفأر وأنثى الخلد، والأرنب البري– إلى مجلس عام.

وحين التأم شمل الجميع خاطبتهم الثعلبة، قائلةً: «يا أصدقائي، لقد أعلن الملك الحرب علينا، وعزم على أن يفتك بنا جميعاً. ومن واجبنا الآن أن ندافع عن أنفسنا بأفضل ما نستطيع. فليرَ كلٌّ منا عدد الحيوانات التي يمكن أن يحشدها. ما عدد إخوتك الدببة الذين تحسب أنك تستطيع أن تأتي بهم لمساعدتنا، أيها الدبّ الطيب؟».

فنهض الدبّ بأسرع ما يمكنه على قائمتيه الخلفيتين، ودمدم: «إنني واثق من قدرتي على جمع مئة».

وسألت الثعلبة قلقةً: «ما عدد أصدقائك الذين تستطيع أن تجلبهم، يا ذئبي الطيب؟».

Twitter: @ketab_n

فقال الذئب مُظهِراً عظمة شأنه: «أستطيع أن أجلب معي خمسمئة ذئب على الأقل».

هزّت الثعلبة رأسها علامة الرضا، وتابعت تقول: «وما الذي تستطيع فعله من أجلنا، يا أرنبنا البري العزيز؟».

فقال الأرنب محترساً: «حسناً، أحسب أن بمقدوري أن أجلب ثمانمئة».

«وما الذي يمكن أن تعمله، أنت يا عزيزي الفأر الصغير؟».

«أوه، يمكنني بلا شك أن أجلب ثلاثة آلاف فأر».

«حسناً، حقاً! وأنت يا أنثى الخلد؟».

«أنا واثقة من قدرتي على أن أجمع ثمانية آلاف».

«وما العدد الذي تحسبين أنك قادرة على جمعه، يا صديقتي العظيمة، كمريكوشا؟».

«أخشى أنه ليس أكثر من مئتين أو ثلاثمئة، في أحسن الأحوال»، قالت الكمريكوشا بحزن.

قالت الثعلبة: «حسنٌ؛ تفرّقوا الآن واجمعوا أصدقاءكم، وحين

Twitter: @ketab_n

تأتون بكلٍّ من تستطيعون، سوف نقرر ماذا نفعل»، فانفضَّ المجلس، وتفرّقت الحيوانات في شتى الاتجاهات عبر الغابة.

و لم يطل الوقت كثيراً حتى سُمِعَت جلبة غير معتادة في جوار القلعة. واهتزت الأشجار اهتزازاً عنيفاً، وبدّد هدير الدببة وعواء الذئاب القصير صمت الغابة المعهود. وجاء جيش الحيوانات من كلِّ فجّ وصوب ليجتمع في المكان المحدد.

وحين التأم شمل الجميع شرَحت لهم الثعلبة خططها، قائلةً: «حين يتوقف جيش الملك عن الزحف ليرتاح في الليلة الأولى، لابدّ لكم عندها، أنتم الدببة والذئاب، من الإعداد للهجوم على جميع الجياد وقتلها. فإذا ما أراد الجيش التقدم على الرغم من ذلك، عليكم، أنتم الفئران، أن تكونوا جاهزين لقرض سيور السروج وأحزمتها وتخريبها أثناء راحة الجنود في الليلة الثانية. أما أنتم الأرانب البرية فينبغي أن تقضموا الحبال التي يجر بها الرجال المدفع. فإذا ما أصرّ الملك على زحفه، فعلى حيوانات الخلد أن تذهب في الليلة الثالثة وتحفر الأرض تحت الدرب الذي سيسلكونه في اليوم التالي، وعليها أن تحفر خندقاً عرضه خمس عشرة ياردة وعمقه عشرين ياردة حول معسكرهم. وفي الصباح، حين يبدأ الجيش بالمسير فوق الأرض التي نقبت، تقومون أنتم، طيور الكمريكوشا، بإلقاء

Twitter: @ketab_n

الحجارة الثقيلة عليهم من عل بينما تبتلعهم الأرض من أسفل».

جرت الموافقة على الخطة، وأسرعت الحيوانات جميعاً إلى واجباتها المحدَّدة. وحين استيقظ جيش الملك، بعد راحة الليلة الأولى من المسير، رأوا ما انخلعت له قلوبهم، فقد كانت جيادهم مقتولة جميعاً. وبلغت هذه الأنباء السيئة مسامع الملك في الحال؛ لكنه اكتفى بطلب مزيد من الجياد، وحين وصلت متأخرة في ذلك النهار، تابع مسيره.

وفي الليلة الثانية زحفت الفئران بهدوء إلى داخل المعسكر، وراحت تكدّ في قرض سروج الجياد وأحزمة الجنود، بينما كانت الأرانب البرية منكبّة على قضم الحبال التي يجرّ بها الرجال المدفع.

وفي الصباح ارتاع الجنود، وهم يرون ما أوقعته الحيوانات من شرٍّ. لكن الملك طمأنهم، وأرسل إلى المدينة في طلب سروج وأحزمة جديدة. وحين جيء بها تابع مسيره بكلِّ عزيمة، مصمماً على أن ينتقم لنفسه من هؤلاء الأعداء الحقراء المتطاولين.

وفي الليلة الثالثة، بينما كان الجنود نائمين، أمعنت حيوانات الخلد في حفر خندق واسع عميق تحت الأرض حول المعسكر.

Twitter: @ketab_n

وحوالي منتصف الليل أرسلت الثعلبة الدببة لكي تساعد حيوانات الخلد، وتنقل بعيداً تراب الأرض المحفورة.

وفي الصباح التالي سُرَّ جنود الملك لرؤيتهم أنَّ ما من أذية لحقت في الليلة السابقة بخيلهم أو سيورهم، وانطلقوا في مسيرهم مستمدين شجاعة جديدة. لكن مسيرهم سرعان ما توقف، لأن الفرسان والمدافع الثقيلة راحت تسقط في الحفر، وحين رأى الملك ذلك، نادى: «تراجعوا. أرى الرب نفسه ضدنا، منذ إعلان الحرب على الحيوانات. سوف أتخلى عن ابنتي».

عندها تراجع الجنود. لكنهم وجدوا أنهم حيث التفتوا كانوا يقعون في الأرض، وهذا ما أدهشهم وأخافهم. ولكي يكتمل الرعب، فقد بدأت طيور الكمريكوشا بإلقاء الحجارة الثقيلة عليهم، فدحرتهم تماماً. وبذلك أبيد الملك وجيشه بأكمله.

وسرعان ما مضى النبيل الشاب، الذي تزوج من ابنة الملك، إلى عاصمة العدو ووضع يده على قصر الملك، آخذاً معه حيواناته جميعاً، حيث عاشوا هناك جميعاً في هناءٍ مديد.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

المعارف العامة
الفلسفة وعلم النفس
الديانات
العلوم الاجتماعية
اللغات
العلوم الطبيعية والدقيقة / التطبيقية
الفنون والألعاب الرياضية
الأدب
التاريخ والجغرافيا وكتب السيرة


كلمة
KALIMA

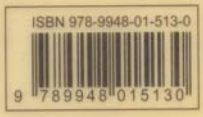

أبوظبي للثقافة و التراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE

ISBN 978-9948-01-513-0
9 789948 015130